



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الحاج لخضر باتنة - 1



قسم اللغة العربية وآدابها

كلية اللغة والأدب العربي والفنون

الاغتراب وفضاء الغيرية في رواية الأرض والدم لمولود فرعون

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العالمي الجزائري باللسان الفرنسي

إشراف الأستاذ الدكتور:

إعداد الطالبة:

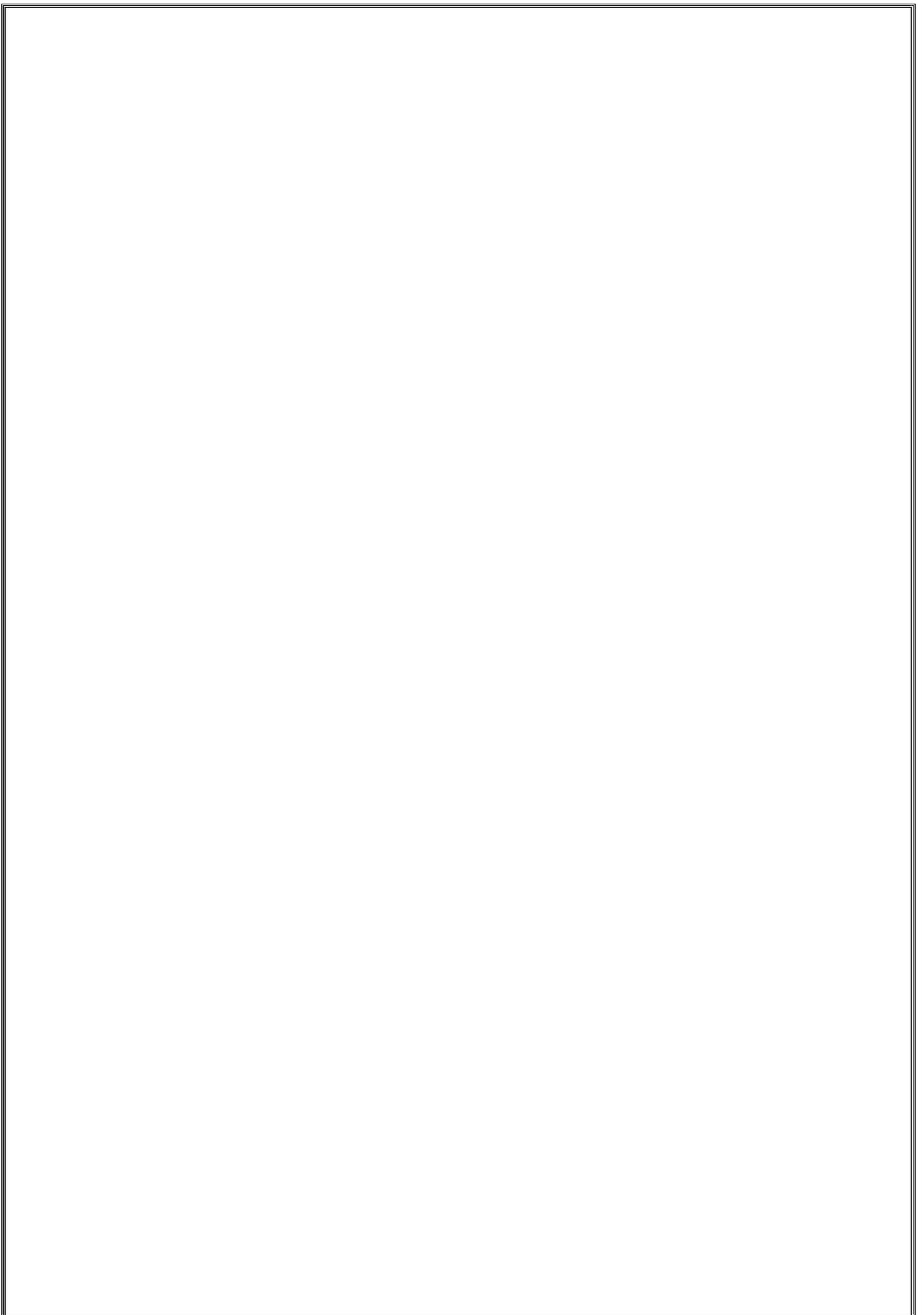
الطيب بودريالة

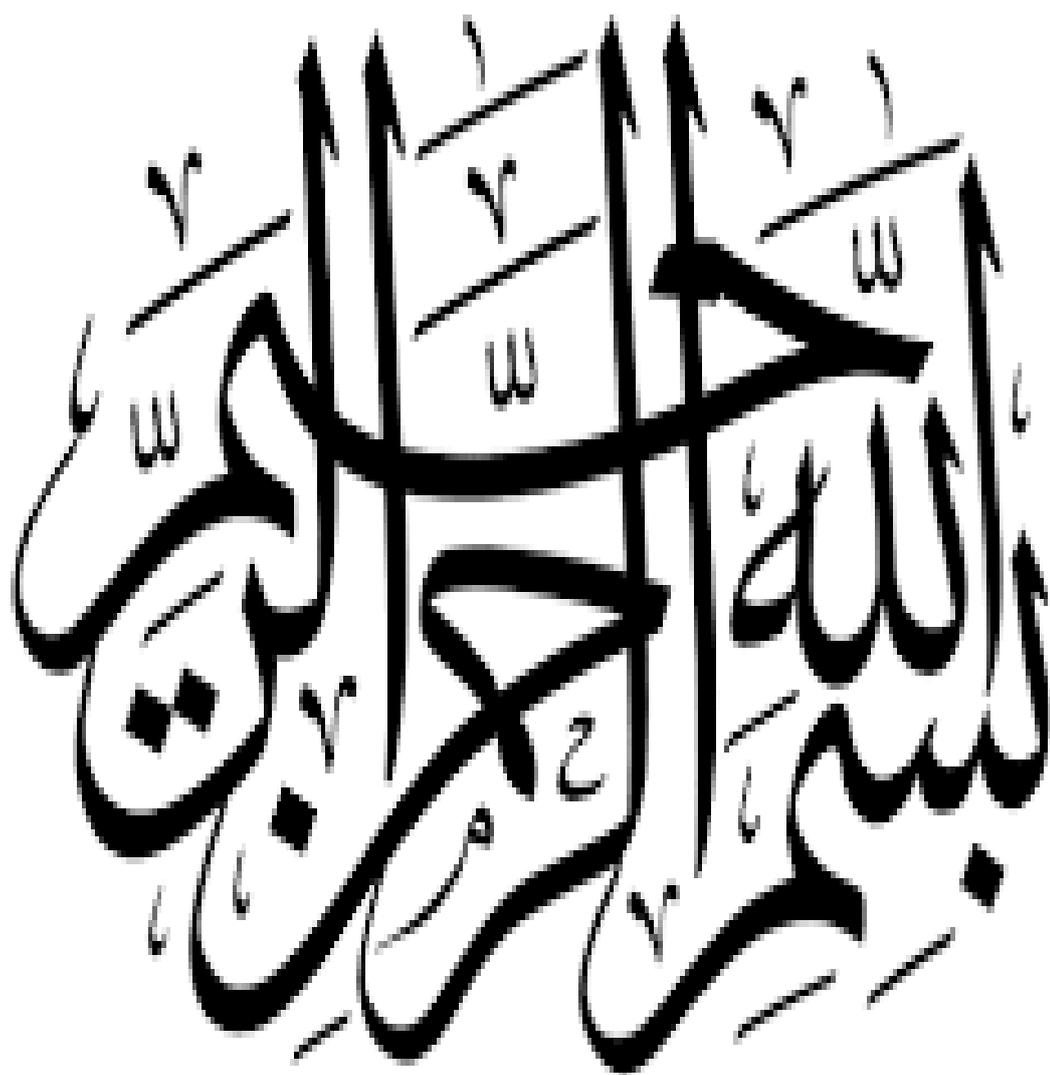
إيمان شبعاني

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
السعيد جاب الله	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة - 1	رئيسا
الطيب بودريالة	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة - 1	مشرفا ومقررا
محمد فورار	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة - 1	عضوا مناقشا
جمال سعادنة	أستاذ محاضر	جامعة باتنة - 1	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 2015/2016 م / 1437-1438 هـ





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

" رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ
عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ
وَادْخُلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ "

النمل: 19

شكر وتقدير

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول عز وجل في كتابه الكريم: "وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ..." صدق الله العظيم

(الآية 53 من سورة النحل)

أشكر الله عز وجل على توفيقه لي في إتمام هذا البحث

كما أتقدم بشكري الجزيل

إلى أستاذي المشرف: الطيب بودربالة

الذي قبل بصدر رحب الإشراف على إعداد هذا البحث باذلا كل مجهوداته في توجيهي، وإفادتي
بنصائحه وإرشاداته القيمة التي كانت الحجر الأساس في إنجاز هذا البحث.

كما أخص بالشكر أستاذتي الفاضلة "نجاة غجالي" التي جادت علي بنصائحتها وتوجيهاتها.

إلى كل من جمع أفكاره وصحح أخطائي وأنار دربي وأشعل شموع طريقي

وكل من ساعدني في إنجاز هذا البحث من قريب أو بعيد

إيمان شعباني

إهداء

الحمد لله الذي وفقني لإنجاز هذا العمل، أشكره وأستعين به

إلى اللذين نورا حياتي بحبهما ودعائهما لي في كل خطوة أخطوها في سبيل النجاح

فكانا سندي وسببا في تحقيق أحلامي

والدي العزيزين - أطال الله في عمرهما وحفظهما -

إلى من شجعني طيلة هذا المشوار وزرع في نفسي بذرة الأمل وكان سنداً لي

- زوجي -

إلى من منحتني الدعم والدعاء وكانت معي بقلبها وعقلها عمتي الغالية

- مسعودة -

إلى كل من ساعدني لأصعد درجة أو شجعني لحمل شعلة العلم وسلاح الزمن

إيمان شبعاني

مقدمة

إن اللقاء بين الشرق والغرب، هو قضية أو بالأحرى واقعة، أوسع من أن تكون فنية أو أدبية فقط، وقد تحقق هذا اللقاء عبر العصور عديد المرات، حتى أنه يمكننا القول بأنه قد أصبح أمراً عادياً، وإذا ما كنا نقصد بالشرق العرب أو العالم الإسلامي خاصة، ونقصد بالغرب أوروبا، فإن هذا اللقاء قد تحقق منذ عصور، وقد تمثل ذلك أولاً في وصول الإمبراطورية العربية الإسلامية بإنسانيتها وفكرها وحضارتها إلى أوروبا ابتداء من القرن الثامن الميلادي ناشرة الدين الإسلامي في بقاع العالم، وما استتبع ذلك من تأثير ضخم وشامل للحضارة العربية الإسلامية في أوروبا، أما الثانية فتمثلت في وصول الغربي إلينا غازياً ومبشراً بالمسيحية، ومستعمراً، لذلك شكل هذا اللقاء قضية فكرية وأدبية شائكة.

وإذا كان الأدباء في العصر الحديث قد تمثلوا للقاء بين الشرق العربي غالباً، والغرب الأوربي خاصة فإن الروائيين كانوا أكثر هؤلاء الأدباء، وذلك أن الرواية هي الفن الأدبي الوحيد الذي يعنى بقضايا المجتمع و مشكلات الإنسان بمنظار صحيح، بفضل بنائها الفني المتكامل الذي يتفق وروح الحياة ذاتها، ويعتمد على الشخصية التي تعتبر المحرك الديناميكي لبقية العناصر الأخرى، هذه الشخصية تتفاعل مع بقية عناصر العمل الروائي. لكن باحتكاك الشخصية العربية بالآخر الغربي المختلف عنها وذلك بعد مجيء الاستعمار شعرت باختلافها عنه، مما ولد لديها حالة نفسية تعرف بالاغتراب.

وبعد الاغتراب مصطلحاً شديد العمق، وعريق الأصل، إذ إنه يضرب جذوره إلى بداية الخلق، فهو يعود إلى تلك اللحظة المتعالية التي غربت فيها الجنة بنعيمها السرمدي عن آدم عليه السلام، ونزل الأرض مغتربا عنها، وعن المعية الإلهية، ويستحيل على الإنسان أن يعيش بغير علاقة مع الآخر، ولهذا شاءت الإرادة الإلهية أن تخلق لآدم عليه السلام زوجة قبل أن يترك الجنة، حتى يقيم كل منهما مع الآخر.

وقد كان لسبب اختياري لهذا الموضوع، دافعان، دافع ذاتي والآخر موضوعي.

فأما الذاتي فيتمثل في إعجابي بالروائي مولود فرعون باعتباره علما من أعلام الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، و من مؤيدي سياسة الاندماج مع الفرنسيين، ورغبتني في الكشف عن أسرار تعبيره الإيديولوجي، وذلك من خلال روايته الأرض والدم، أما الدافع الموضوعي فيتمثل في أن الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية لم تحظ بدراسات كثيرة، وهذا ما دفع إلى الاعتقاد بأنها مازالت تعتبر رواية فرنسية رغم الروح الجزائرية التي كتبت بها، ولقلة المترجمين لها، إضافة إلى الرغبة الملحة إلى التعرف على أدب الجزائر في تلك الفترة، من خلال الرواية المكتوبة بالفرنسية، وليتعرف كل مطلع على بحثي أن هناك أدبا فنيا نما في الجزائر في فترة هي الأخرج في تاريخ الجزائر، ويحمل خصائص متنوعة، هي إضافة لرصيدنا الأدبي في الوطن العربي والعالمي.

ثم إن دراسة الحالة النفسية التي تمر بها الشخصية من اغترابات ومواجهة للآخر (الفرنسي) المختلف عنها في كل شيء ، أمر ليس باليسير، ذلك أن الشخصية هي العنصر الذي تبنى عليه الرواية، فلا يمكن دراسة الاغتراب والنظرة إلى الآخر بمعزل عن الشخصية، فإذا غابت الشخصية لم يعد هناك اغتراب، ولم يعد هناك آخر تتحداه الذات العربية.

وهذا السبب هو الدافع الرئيسي الذي جعلني أختار الروائي الجزائري "مولود فرعون" ذلك أنه روائي يحتل مكانة بارزة بين كتاب الرواية المكتوبة بالفرنسية، كما أنه قد استطاع من خلال كتابته بالفرنسية أن يوصل معاناة الشعب الجزائري في تلك الفترة إلى العالم، وهو من مؤيدي فكرة الاندماج مع الآخر.

وهناك أسباب عامة وأخرى خاصة في اختياري هذا الموضوع:

أما العامة فلكون هذه الرواية قد كتبت في مرحلة الاحتلال، وفي الوقت الذي بدأ فيه الوعي الوطني بالآخر (الفرنسي) والأساليب القمعية التي كان الشعب يواجهها. وأما الخاصة فكونها رواية اغترابية، كما أنها قد تناولت الاغتراب المزدوج (البطل المسلم والغربية)، ومن ثم فهي تحاكي الآخر وتتفاعل معه سواء بالإيجاب أو السلب.

الإشكالية:

لعل بحثي هذا يدور حول إشكالية رئيسية متمثلة فيما يلي: ما الدور الذي تلعبه الشخصية في رواية الأرض والدم؟ ماهي أنواع الاغتراب الذي أحسته الشخصية الروائية في هذه الرواية؟ وكيف نظرت للآخر بعدما هاجرت إليه؟، وهل استطاع البطل أن يندمج مع الغرب (الأخر) المختلف عنه في كل المجالات؟.

الدراسات السابقة:

رغم قلة الدراسات التي تناولت الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية التي نتحدث عن الاغتراب والآخر(الغريبة) إلا أنه تجدر الإشارة إلى بعض الجهود المبذولة، كعبد اللطيف محمد خليفة الذي تناول في كتابه دراسات في سيكولوجية الاغتراب أهم تعريفاته، وكيف درسه الغربيون في كتاباتهم، بالإضافة إلى محمد عباس يوسف الذي تناول هو الآخر أهم تعريفات الاغتراب كما أشار كذلك إلى آراء المفكرين الغربيين حوله، كما نجد عبد المجيد حنون قد تطرق إلى صورة الآخر الفرنسي في كتابه صورة الفرنسي في الرواية المغربية.

الخطة:

وقد قسمت بحثي إلى ثلاثة فصول ، استهلقتها بمقدمة ثم، تناولت في المدخل المعنون بالاغتراب والغريبة مصطلحات ومفاهيم ورؤى، محورين تمثل الأول في الاغتراب، وقد تناولت فيه: أولاً-تعريف الاغتراب في اللغة العربية، وفي اللغات الأجنبية، كما تناولت فيه كذلك تعريف الاغتراب في الموسوعات الفكرية، بالإضافة، وثانياً- تعريف الاغتراب اصطلاحاً، وثالثاً- الاغتراب عند الغربيين، رابعاً- الاغتراب في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، وقد تناولت في المحور الثاني منه والموسوم بالغريبة:أولاً- تعريف الغريبة في اللغة العربية واللغات الأجنبية، بالإضافة إلى القواميس والموسوعات، وثانياً-تعريف الغريبة اصطلاحاً، ثم تطرقت ثالثاً إلى آراء المفكرين والفلاسفة لها، ورابعاً-الغريبة عند العرب.

أما الفصل الأول المعنون بالشخصية الروائية والاعتراب فقد تناولت في المحور الأول منه تعريف الشخصية و ذكرت أنواعها، أما المحور الثاني منه والمعنون باعتراب الشخصية الروائية فقد تناولت فيه: -اعتراب اجتماعي -اعتراب لغوي وثقافي - اعتراب اقتصادي.

أما الفصل الثاني المعنون بتجليات فضاء الغيرية في رواية الأرض والدم، فقد تناولت في المحور الأول منه :- تعريف الفضاء وفضاء الغيرية، ثم ذكرت بعدها أنواعه وأقسام الفضاء الجغرافي، ثم تناولت في المحور الثاني منه صورة الآخر باعتباره فضاء اجتماعيا وثقافيا: تناولت فيه صورة المرأة الغربية، وصورة الرجل الغربي، بالإضافة إلى صورة الآخر المختلف.

المنهج:

وكان لا بد أن أعتمد على المنهج التاريخي والمنهج السيميائي اللذين تطلبتهما طبيعة الموضوع، فالمنهج التاريخي وظفته في الفصل التمهيدي ، ذلك أنني تفصيت فيه حقائق تاريخية تتبعتها تاريخيا في حديثي عن الاعتراب والغيرية، وتاريخ تطورها عند العرب والغرب، كما وظفته كذلك في القسمين الأولين من الفصلين الأول والثاني، ووظفت المنهج السيميائي في بقية أجزاء الفصلين بحسب ما تطلبتته الدراسة.

المصادر والمراجع:

واعتمدت في بحثي هذا على مجموعة من المصادر والمراجع كان أهمها: نحن والآخر لكاظم نجم، وصورة الفرنسي في الرواية المغربية لعبد المجيد حنون، والاعتراب والإبداع لعباس يوسف.

صعوبات البحث:

وكأية محاولة تتناول موضوعا قليل الدراسة واجهتني مجموعة من الصعوبات الكثيرة والجوهرية، ذلك أن الرواية المكتوبة بالفرنسية لم تتجز عليها دراسات كافية لاعتبارها فنا جديدا من فنون الكتابة الروائية، أضف إلى ذلك قلة الدراسات القيمة التي تتناول الأدب

الجزائري المكتوب بالفرنسية، بالإضافة إلى صعوبة الحصول على كثير من المراجع الأساسية التي تخدم البحث.

وفي الختام أرفع جزيل شكري لأستاذي الفاضل الدكتور الطيب بودريالة على تبنيه هذا البحث، وتحمله لأعباء الإشراف عليه حتى خرج هذا البحث على الصورة التي هو عليها.

مدخل: الاختراجه والغيرية: مصطلحات ومفاهيم ورؤى

تمهيد

I-الاختراجه:

أولا - تعريف الاختراجه لغة واصطلاحا

ثانيا - الاختراجه عند الغربيين (هيغل - هاركنس - سارتر).

ثالثا - الاختراجه في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية.

II-الغيرية:

أولا - تعريف الغيرية لغة واصطلاحا.

ثانيا - الغيرية عند الغربيين: عند المفكرين والفلاسفة.

ثالثا - الغيرية عند العرب.

I- الاغتراب:

الاغتراب مصطلح متشعب ومعقد، إذ أنه يضرب بجذوره إلى بداية الخلق، لذلك يعد من أكثر المصطلحات ارتباطا بالوجود الإنساني، مما جعل الفلاسفة والمفكرين يتناولونه بالتحليل، ويتعقبونه بالبحث والاستقصاء، فما هو الاغتراب؟ كيف نشأ؟ وكيف درسه العرب والغربيون؟

أولاً- تعريف الاغتراب لغة:

1- في اللغة العربية:

لقد وردت لفظة "الاغتراب" في القواميس والمعاجم العربية لتدل على معان كثيرة، فنجد في "المصباح المنير" أن مادة (غرب) تعني:

(غ ر ب): غربت الشمس تغرب غروباً: بعدت وتوارت في مغيبها، وغربَ الشخص بالضم غرابَةً: بُعدَ عن وطنه، فهو غريب، وجمعه: غرباء، وغربتهُ أنا تغريباً فتغربَ واغترب، وغربَ بنفسه تغريباً أيضاً، وأغربَ بالألف: دخل في الغربة، وأغربَ: جاء بشيء غريب، وكلام غريب: بعيد عن الفهم، والغربُ: الحدة من كل شيء نحو الفأس والسكين، حتى قيل: اقطع غربَ لسانه، أي: حدته، وقولهم: سَهْمُ غَرَبٍ، فيه لغات: السكون والفتح، وجعله مع كل واحد صفة لسهم، ومضاف إليه، أي لا يدري من رمى به، وهل من مغربة خبر بالإضافة، أي: هل من حالة حاملة لخبر من موضع بعيد، والغاربُ: ما بين العنق والسنام، وهو الذي يلقي عليه خطام البعير، إذا أرسل ليرعى حيث شاء، ثم استعير للمرأة، وجعل كناية عن طلاقها، فقيل لها: حَبْلُكَ على غاربك، أي: اذهبي حيث شئت، كما يذهب البعير، وفي النوادر: الغارب: أعلى كل شيء، والجمع: الغواربُ، والغرابُ جمعه: غربان، وأغربةٌ، وأغربٌ⁽¹⁾.

(1) أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقرئ، المصباح المنير، دار الحديث، القاهرة، د ط، 1429هـ-2008م، ص276.

فالملاحظ أن لفظتي الغربة والاغتراب تدلان على: البعد، والغياب، والنزوح، والانفصال، وعدم الانتماء، والخروج عن دائرة المألوف؛ فالشمس إذا غربت توارت وبعدت، والنفي عن البلد البعد عنه، والكلام الغريب: غير المألوف والبعيد عن الفهم.

2- في اللغات الأجنبية:

يقابل مصطلح الاغتراب في اللغة العربية، مصطلحي: (Alination) في الانجليزية، ومصطلح (Aliénation) في الفرنسية، ومصطلحي: (Entausserung) و (Enfrendung) في الألمانية⁽¹⁾، وإذا ما بحثنا في أصل مصطلح الاغتراب، وجدنا أنه مشتق من الاسم اللاتيني (Alienatio)، المشتق من الفعل (Alienare)؛ بمعنى تحويل شيء ما لملكية شخص آخر، أو الانتزاع أو الإزالة، وهذا الفعل مشتق من فعل آخر (Alienus)؛ بمعنى ينتمي إلى شخص آخر أو يتعلق به، وهذا الفعل مستمد من لفظ (Alieus)، ويعني الآخر⁽²⁾، ولفظة (Alien) المشتقة من (Alieus)؛ والتي تعني بالانجليزية شخصا أجنبيا، أو كان من عالم آخر⁽³⁾.

وقد ظهر مصطلح الاغتراب في اللغة اللاتينية بصفته ترجمة لبعض المصطلحات الإغريقية، والتي تشير إلى حالة تحول الكائن خارج ذاته، ولهذا يشير الاغتراب لحالة الإنسان الذي تجاوز ذاته، وهذا التماثل يكشف في عموميته، عن التغيرات التي تجعل من الإنسان كائنا مغتربا عن ذاته، ويصير مغمورا في "الله"، ومن ثم عرف أفلاطون التأمل الحق؛ بحالة الكائن الذي فقد وعيه بذاته، فصار الآخر مغتربا، ونفس التمحيص يسم استخدام القديس "أوغسطين S. Augustin" لمصطلح الاغتراب، الذي تناوله بالإشارة إلى الأذهان المغتربة "Alienation mentis"؛ والتي تبين حالة الانغمار في الدائرة الإلهية⁽⁴⁾.

وقد كان لمصطلح الاغتراب قبل هيجل ثلاثة استعمالات:

(1) عبد اللطيف محمد خليفة، دراسات في سيكولوجية الاغتراب، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د ط، 2003، ص23.
(2) د.محمد عباس يوسف، الاغتراب والإبداع الفني، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د ط، 2004، ص21.
(3) د. محمد بدوي، المعجم الانجليزي-العربي، مر، د.محمد دبس، أكاديمية بيروت، ط3، 2010، ص37.
(4) ينظر، السيد علي شتا، نظرية الاغتراب من منظور الاجتماع، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، د ط، 1993، ص19-20.

1- بمعنى نقل الملكية: يشير هذا المعنى في سياقه القانوني إلى انتقال ملكية شيء ما من شخص لآخر، وخلال عملية الانتقال تلك، يصير الشيء مغترباً عن مالكه الأول، ويدخل في حياة المالك الجديد، وقد كان هذا الاستخدام واحداً من الاستخدامات اللاتينية المبدئية لمصطلح "Alienare"، والاسم "Alienation" في علاقتهما بالملكية⁽¹⁾.

2- بمعنى الاضطراب العقلي: لقد استخدم مصطلح الاغتراب في مجال الطب؛ بمعنى الاضطراب العقلي؛ إذ أن لفظة "Alienato" في اللاتينية، تشير إلى حالة فقدان الوعي، أو القصور في القوى العقلية، والشخص المغترب يقرر "بندوين"؛ هو الشخص المضطرب عقلياً⁽²⁾.

3- بمعنى الغربة بين البشر: الاستخدام التقليدي الثالث لمصطلح الاغتراب؛ بمعنى الغربة أو فقدان الألفة، والعلاقات الودية بين البشر، فالفعل "Alienare" في الاستخدام اللاتيني؛ يفيد أيضاً معنى التسبب في فتور علاقة ودية مع شخص آخر، أو حدوث انفصال، أو جعل شخص ما مكروهاً⁽³⁾.

أما الاستخدامات المعاصرة لمصطلح الاغتراب، فإنها تتفق على أن الاغتراب؛ هو التباعد، أو التنافر، أو الانفصال عن شيء ما، وهذا الانفصال عادة ما يكون انفصالياً عن الذات أو المجتمع، حيث يميز علماء النفس بين نوعين من الاغتراب: الاغتراب عن الذات، والاضطراب عن المجتمع:

1- الاغتراب عن الذات: يعني انفصال الفرد عن ذاته، وعدم التطابق معها؛ بمعنى أنه يصطنع ذاتاً زائفة من فعل وتأثير ضغوط المجتمع، بنظمه وأعرافه وتقاليدته، بل وتناقضاته، مما يؤدي إلى طمس الذات الحقيقية؛ أي ذات الفرد كما يريد لنفسه أن تكون.

(1) السيد علي شتا، نظرية الاغتراب من منظور الاجتماع، مرجع سابق، ص21.

(2) محمد عباس يوسف، الاغتراب والإبداع الفني، مرجع سابق، ص21.

(3) المرجع نفسه، ص22.

2- الاغتراب عن المجتمع: وهو أن يرفض صراحة قيم المجتمع وأعرافه وتقاليدته، ويبرز سلبياته وتناقضاته، ولا يشعر بالميل إلى إقامة الصلات الاجتماعية، والعلاقات الودية مع الآخرين⁽¹⁾.

كانت هذه أبرز المعاني التي أشارت إليها لفظة " الاغتراب " في اللغة اللاتينية؛ فالاغتراب في اللاتينية يشير إلى معنى: انتقال الملكية، والانتزاع أو الإزالة، كما يشير أيضا إلى معنى شخص أجنبي؛ أي من عالم آخر، وكذلك الانتماء إلى شخص آخر.

3- مصطلح الاغتراب في الموسوعات والقواميس الفكرية:

جاء في قاموس "علم الاجتماع" أن مصطلح «اغتراب Alienation» يستخدم في العلوم الاجتماعية بمعان عديدة، أبرزها ما كتبه سيمان Seeman في مقال له عن مفهوم الاغتراب، ميز فيه بين خمسة استخدامات لهذا المصطلح؛ فهناك أولا: انعدام القوة " Powerlessness" الذي يعني شعور الفرد؛ بأنه ليس لديه القدرة على التأثير في المواقف الاجتماعية المحيطة به، وثانيا: فقدان المعنى "Meaninglessness" الذي يتضمن عجز الفرد عن الوصول إلى قرار، أو معرفة ما ينبغي أن يفعله، وثالثا: فقدان المعايير Normlessness" وهو لجوء الفرد إلى استخدام أساليب غير مشروعة، وغير موافق عليها اجتماعيا لتحقيق أهدافه، ورابعا: العزلة "Isolation" ومعناها انفصال الفرد عن تيار الثقافة السائدة، وتبني مبادئ أو مفاهيم مخالفة؛ مما يجعله غير قادر على مسايرة الأوضاع القائمة، وخامسا: غربة الذات "Estrangement" وهي إدراك الفرد بأنه أصبح مغتربا عن ذاته⁽²⁾.

وجاء في معجم "علم النفس والتحليل النفسي" أن: "Alienation": اغتراب أو خلل عقلي: الاغتراب عن النفس أو الذات الحقيقية يحدد قدرة الفرد على الانتماء للآخرين، وكذا الاغتراب عن الآخر يحدد قدرة الفرد على اكتشاف نفسه؛ أي أن الاثنين متداخلان، يعتمدان

(1) محمد عباس يوسف، الاغتراب والإبداع الفني، مرجع سابق، ص22.

(2) محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، د ط، 2006، ص19.

على بعضهما، ويرى علماء النفس أن الاغتراب حالة لا يجرب فيها الإنسان نفسه، بوصفه المبدع الحقيقي وصاحب ما ينتجه، ولكنه يجرب فيها نفسه كشيء قد أفقر، يتحكم فيه آخرون ويسلبونه ما أنتج⁽¹⁾.

كما ورد في " معجم المصطلحات الفلسفية " أن: الاغتراب أو الاستلاب **Aliénation**: هو عملية تحويل منتجات النشاط الإنساني، والاجتماعي إلى شيء مستقل عن الإنسان، ومتحكم فيه، والاستلاب أو الاغتراب عموماً؛ حالة من يكون ملكاً لشيء آخر غيره⁽²⁾.
 مما سبق يتضح لنا أن معنى الاغتراب في الموسوعات والقواميس الفلسفية، والاجتماعية والنفسية، له معنى مكمل للمعاجم الأجنبية، حيث إنه يشير إلى مفهوم: الانسلاخ، والانسلاخ، والعجز، والخلل العقلي، كما أنه يشير أيضاً إلى تحويل الملكية لشخص آخر.

ثانياً-تعريف الاغتراب اصطلاحاً:

يتميز مصطلح الاغتراب "**Alienation**" عن سائر المصطلحات بجاذبية خاصة وفريدة، فهذا المصطلح رغم ما يشوبه من غموض، له إغراء خاص في الاستخدام؛ مما جعله اليوم أكثر المصطلحات شيوعاً في عالم النفس، والأدب، والفن، والعلوم الاجتماعية.
 وقبل أن نعرض أهم التعريفات التي تناولت مصطلح الاغتراب، وجب علينا أولاً أن نعرض بإيجاز تاريخ سيرة هذا المصطلح؛ حيث بين " محمود رجب " في كتابه "سيرة مصطلح" أن مفهوم الاغتراب مر بثلاث مراحل هامة⁽³⁾:

1- مرحلة ما قبل هيجل: يحمل مفهوم الاغتراب معاني مختلفة، تكمن في السياق القانوني (انفصال، تشيؤ)، (تحول الملكية من صاحبها إلى آخر)، وسيق نفسي اجتماعي؛ بمعنى انفصال الإنسان عن ذاته، ومخالفته لما هو سائد في المجتمع، والسيق الديني (انفصال الإنسان عن الذات الإلهية).

(1) عبد المنعم الحنفي، موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط 4، 1994، ص37.

(2) محمد بوزواوي، معجم المصطلحات الفلسفية، الدار الوطنية للكتاب، الجزائر، د ط، د ت، ص41.

(3) محمد خضر عبد المختار، الاغتراب والتطرف نحو العنف، دراسة نفسية اجتماعية، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، د ط، د ت، ص29.

2-مرحلة هيغل: الذي اهتم في معظم مؤلفاته بمصطلح الاغتراب، حتى أطلق عليه "أبو الاغتراب"، حيث تحول الاغتراب على يديه إلى مصطلح فني.

3-مرحلة ما بعد هيغل: بدأت تظهر الأحادية للمصطلح، كما أخذ المصطلح ينسلخ من بعديه (السلبى - الايجابى)، وأصبح يقصد به معنى "السلب"، ومن أبرز الفلاسفة الذين عبروا عن ذلك "كارل ماركس"، ثم الوجودية؛ حيث ترتبط الحرية بالاغتراب ارتباطا وثيقا.

ومن أهم التعاريف التي تناولت مصطلح الاغتراب ما يلي:

يشير "مارتين Martin" إلى أن الاغتراب: "هو الشعور بالتفكك **Dissociation**

والشعور بالعزلة، ونقص الانتماء، واللامبالاة، وفقدان المعنى، والعجز، واللامعيارية"⁽¹⁾.

كما يعرف "فروم Eric Fromm" الاغتراب على أنه: "يتمثل في شكل من الخبرة المنجزة، يمارسها الإنسان، ويشعر فيها بأنه غريب عن ذاته، ولا يجد نفسه كمركز لعالمه، وكخالق لأفعاله أو إنتاجه، وإنما أفعاله هي التي تصبح لها السيادة، وعليه أن يطيعها وأن يعبدها أحيانا"⁽²⁾.

ومن التعاريف أيضا تعريف "أحمد أبو زيد" للاغتراب بأنه: "انسلاخ عن المجتمع، والعزلة والانعزال عن التلاؤم، والإخفاق في التكيف مع الأوضاع السائدة في المجتمع، واللامبالاة، وعدم الشعور بالانتماء، بل وأيضا انعدام الشعور بمغزى الحياة"⁽³⁾.

كما يعرف "أبو بكر مرسى" الاغتراب بأنه: "شعور الفرد أنه غريب عن ذاته، لا يجد نفسه كمركز لعالمه، وأنه خارج عن الاتصال بنفسه، كما هو خارج عن الاتصال بالآخر"⁽⁴⁾.

(1) بهجات محمد عبد السميع زامل، الاغتراب لدى المكوفين، ظاهرة، علاج، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، ط 1، 2007، ص17.

(2) المرجع نفسه، ن ص.

(3) المرجع نفسه، ن ص.

(4) زليخة جديدي، الاغتراب، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع 8، جوان 2012، نقلا عن، أبو بكر مرسى، أزمة الهوية في المراهقة والحاجة للإرشاد النفسى، مكتبة النهضة المصرية، مصر، ط 1، 2002، ص58.

وتوضح "هورني Horny" بأن الاغتراب: "يعبر عما يعانيه الفرد من انفصال عن ذاته، حيث ينفصل الفرد عن مشاعره الخاصة ورغباته ومعتقداته، وهذا فقدان الإحساس بالوجود الفعال"⁽¹⁾.

يمكننا أن نستخلص من هذه التعاريف تعريفا شاملا للاغتراب، وهو أنه شعور بالعزلة والضياع وعدم الفاعلية، ونقص الانتماء، وانسلاخ عن المجتمع، فهو انفصال نسبي عن الذات أو المجتمع، ويتولد عنه: العزلة واللامعنى، والعجز والتمرد.

(1) زليخة جديدي، الاغتراب، مرجع سابق، ص58، نقلا عن، عادل محمد العقيلي، الاغتراب وعلاقته بالأمن النفسي لدى طلاب جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، رسالة ماجستير، 2004، ص10.

ثالثا- الاغتراب عند الغربيين:

ظاهرة الاغتراب ظاهرة قديمة قدم الإنسان، لكنها قد تأصلت - حسب رأي الدارسين- على يد هيغل الذي يعد أبا الاغتراب، ثم جاء بعده كل من ماركس وسارتر، ثم جاء بعدهم من يمثل المفهوم السيكولوجي أمثال فرويد، والمفهوم السوسيولوجي أمثال دوركهايم. وإذا ما نظرنا إلى كتابات هيغل؛ باعتباره أول من قام بالتأصيل الفلسفي لمفهوم الاغتراب، وجدناه يربط بين اغتراب الذات والثقافة، فالفرد يجب أن يعارض ذاته أولاً لتحصل تلك الذات على حقيقتها الشاملة⁽¹⁾.

يعد كتاب (ظاهريات العقل الكلي) لهيغل، أول كتاب له ظهر فيه مصطلح الاغتراب، أو كما يسميه (فينومينولوجيا الروح)، وقد حاول من خلاله تتبع تطور العقل البشري، منذ احتكاكه بالوجود، كما أنه قد اهتم فيه بالتطور المنطقي في نمو التاريخ، أكثر من اهتمامه بالسياق الزمني، فقد اكتشف أن العالم الذي نعيش فيه هو من إبداع الإنسان، فالبنية الاجتماعية التي تتمثل في المؤسسات الاجتماعية، والسياسية، والثقافية، التي استمرت عبر قرون من النشاط الإنساني؛ ما هي إلا نتاج للروح الإنسانية، وشيء عقلي بصفة أساسية⁽²⁾.

طبيعة الإنسان العقل والكلية:

يؤكد هيغل على أن المفهوم السليم لطبيعة الإنسان يتضمن العقل، فالعقل يتضمن تجاوز الخصوصية، فتكون حركة الفكر على مستوى كلي أو عام، ومن ثم فالكلية عنده هي جوهر الوعي الإنساني، وإذا أراد الإنسان أن يدرك طبيعته الجوهرية وجب عليه تحقيق الوحدة مع البنية الاجتماعية، التي تعتبر أمراً ضرورياً بالنسبة للإنسان، إذ نجده يقول: «إنه في النظام الأخلاقي أو الاجتماعي يحقق الأفراد بصفة فعلية جوهرهم الخاص أو كليتهم الداخلية»⁽³⁾.

ونجد هيغل قد صور مفهوم الاغتراب ذي الطبيعة المزدوجة في كتابه "ظاهريات العقل

الكلي"، حيث نجد أنه استخدمه بمصطلحين مختلفين:

(1) محمد عباس يوسف، الاغتراب والإبداع الفني، مرجع سابق، ص7.

(2) المرجع نفسه، نقلاً عن شاخنت، الاغتراب، تر كامل يوسف حسين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1980م، ص94.

(3) المرجع نفسه، ص39-40، نقلاً عن ريتشارد شاخنت، الاغتراب، ص96.

1-المصطلح الأول: **entfremdung** وهو الاغتراب بمعنى الانفصال أو الانقسام وعدم التعرف على الذات، وهو معنى سلبي.

2-المصطلح الثاني: **Entaeussrung** وهو الاغتراب بمعنى التخرج أو التموضع وهو اغتراب ضروري وإيجابي.

ومن جهة أخرى- أي على الانسان الفرد- نجد أن هيجل قد ميز بين أشكال عديدة للاغتراب أهمها: الاغتراب عن المجتمع أو عن البنية الاجتماعية، والاغتراب عن الذات، والاغتراب عن الوجود.

1-الاغتراب عن المجتمع: إن ما يحقق الكل في عالم التفاعل بين الأشخاص عند هيجل هو البنية الاجتماعية **Social-structure** ، و إذا ما أراد الفرد تحقيق هذه الكلية وجب عليه أن يكون متوافقا معها وأن يحيا بما يجاريها، إذ يقول هيجل في هذا الصدد: « إن الأساس المادي للكلية يكمن فحسب في المؤسسات الاجتماعية فهي وحدها التي تجعل الكلية ممكنة، والإنسان يتعين عليه أن يحقق الكلية إذا ما كان له أن يدرك طبيعته الحققة»(1).

كما يرى هيجل أنه ليس من الحتمي أن ينشأ عبر مسار حياة الفرد وعي بذاته، فعلاقة الفرد بالبنية الاجتماعية هي علاقة وحدة كاملة وشاملة، لكن قد تنشأ بعد ذلك صراعات تسفر عن عودة الإنسان لذاته بعيدا عن الكلية، فيحاول بذلك أن يجعل ذاته متطابقة معه هو، أي متفردة بشخصه، ويمكن أن يصل الفرد المكتشف لذاته وتميزه إلى النظر إلى البنية الاجتماعية باعتبارها شيئا خارجا عنه ومعارضاً له، ففي نظره قد أصبحت البنية الاجتماعية شيئا غريبا عنه(2).

(1)محمد عباس يوسف، الاغتراب والإبداع الفني، مرجع سابق، ص41، نقلا عن شاخنت، الاغتراب، ص96.
(2) المرجع نفسه، ص42، نقلا عن شاخنت، الاغتراب، ص98.

2- الاغتراب عن الذات:

أ- الاغتراب عن الذات من خلال مفهوم طبيعة الإنسان الجوهرية: يرى هيجل أن الاغتراب عن الذات هو النتيجة الحتمية التي تمخض عن اغتراب الفرد عن البنية الاجتماعية، وأن الفرد بتوقفه عن أن يكون في وحدة مع تلك البنية الاجتماعية يفقد كليته، وعندما يحدث ذلك لا يكون الفرد ممتلكا بعد لخاصية جوهره وإنما يغرب ذاته عن طبيعته الجوهرية (العقل والكلي)؛ بمعنى أنه يصبح مغتربا عن ذاته⁽¹⁾.

ب- الاغتراب عن الذات من خلال مفهوم (التموضع): ينظر هيجل للبنية الاجتماعية على أنها ليست فقط من صنع العقل، ولكنها أيضا تموضع ذلك العقل، ويستلزم ذلك أنه حينما تغرب البنية عن الفرد، فإن ذات الفرد الحقيقية المتموضعة؛ هي التي تغرب عنه، فهذا الاغتراب عند هيجل، هو إخفاق الفرد في أن يدرك أن البنية الاجتماعية التي تبدو له غريبة، هي ليست في الحقيقة إلا من خلقه وقد تموضعت⁽²⁾.

3- الاغتراب عن الوجود المستقل: إن اغتراب الإنسان عن الوجود المستقل؛ معناه فقدان استقلالية الذات، والاعتماد على الآخرين في الحصول على الوسائل، التي من خلالها يرغب المرء في تأكيد استقلاله، وتنمية فرديته، فلذلك يرغب كثير من الأفراد في الحصول على الثروة والممتلكات؛ باعتبارها السبيل إلى تحقيق الاستقلال والحرية، ولكن إذا حصل المرء على تلك الثروة، واتخذها هدفا له عندئذ تكون سببا لاغترابه وفقدانه الوجود المستقل، وهذا ما يجعل كثيرين اليوم يرفضون مادية المجتمع الحديث⁽³⁾.

قهر الاغتراب عند هيجل:

يرى هيجل أن الاغتراب عن البنية الاجتماعية، وما يستتبعه من اغتراب عن الذات؛ يكون من خلال التخلي، أو التسليم، أو التضحية بالفردية والخصوصية، واستعادة الوحدة مع البنية الاجتماعية، إذ أن هذا يحدث في نظر هيجل يحدث تلقائيا، عندما يطرأ تغير في

(1) محمد عباس يوسف، الاغتراب والإبداع الفني، ص43، نقلا عن شاخنت، الاغتراب، ص102.

(2) المرجع نفسه، ص43، نقلا عن شاخنت، الاغتراب، ص95.

(3) المرجع نفسه، ص44، نقلا عن شاخنت، الاغتراب، ص117.

مفهوم الشخص عن ذاته، فيصبح عندها تخليه عن فرديته أمرا ضروريا لتحقيق الوحدة مع البنية الاجتماعية، فالكلية هي شيء أساسي بالنسبة للإنسان، وإذا ما أراد الإنسان تحقيق هذه الوحدة وجب عليه التخلي عن الأناية والخصوصية⁽¹⁾.

لقد مجد هيجل كثيرا البنية الاجتماعية، مما يجعل الفرد يتخلى عن طبيعته الجوهرية لتذوب في صيرورة البنية الاجتماعية، وهذا ما قد يولد لدى الفرد ظاهرة التمرد على تلك البنية الاجتماعية إذا لم يستطع الفرد تحقيق وحدته معها.

2- الاغتراب عند كارل ماركس:

يعد كارل ماركس من رواد البحث الهادف لتحليل مفهوم الاغتراب الذي منحه طابعا امبريقيا وسوسولوجيا بعد أن كان مفهوما ميتافيزيقيا⁽²⁾. وقد برز اهتمام ماركس بهذا المفهوم بصورة خاصة في مؤلفه (مسودات اقتصادية) **Economic and Philosophical Manuscript** المنشور سنة 1844⁽³⁾، والذي صاغ فيه نظريته حول الاغتراب حيث يقول: «أن الاغتراب عند العمال قد بدأ في صورتين: الاغتراب عن ناتج العمل، واغتراب العمال عن العمل نفسه، وبتعبير آخر لا ينتمي الانتاج للعامل، كما أن العامل نفسه لا ينتمي لماهية الإنسانية حيث أن الإنسان لم يعد يشعر بحريته في أفعاله المتعلقة بالعمل وعملية الإنتاج»⁽⁴⁾.

كما أن اهتمام ماركس قد انصب في كتابه (مخطوطات) حول تحليل الظروف التي يترتب عليها اغتراب الإنسان والطبيعة في المجتمع، ثم إن لاستخدام ماركس لمفهوم الاغتراب معنيين: أولهما جوانب تخرج الذات فالإنتاج يظل موضوعا مستقلا عن ذات المرء، كما يتضمن المعنى الثاني اغتراب ذات المرء عن الآخرين، وهذا يعني بصورة عامة أن انفصال العامل عن العمل وناتج العمل يتم خلال خضوعه وفقدان الحرية في ظروف العلاقات

(1) محمد عباس يوسف، الاغتراب والإبداع الفني، مرجع سابق، ص45، نقلا عن شاخت، الاغتراب، ص117

(2) قيس النوري، الاغتراب اصطلاحا ومفهوما وواقعا، مجلة عالم الفكر، الكويت، مج 10، ع1، أبريل- مايو- يونيو، 1979، ص21. *منهم من يقول مسودات اقتصادية وفلسفية، ومنهم من يقول مخطوطات باريسية.

(3) قيس النوري، الاغتراب، مرجع سابق، ص21.

(4) بهجات محمد عيد السميع، الاغتراب لدى المكفوفين، مرجع سابق، ص41.

الاجتماعية في النسق الرأسمالي⁽⁵⁾، فالإنسان (العامل) إذا أصبح مغتربا عن عمله اليومي فهو بالضرورة مغترب عن نفسه أيضا وعن إمكانياته الخلاقة والأواصر الاجتماعية التي تتحدد من خلالها إنسانيته، وهذا ما يعزله عن نوعه الإنساني ويجرده من خاصيته البشرية **Species Being**⁽¹⁾.

ويؤكد كارل ماركس في كتابه "مخطوطات باريسية" أن العمل في ظل الرأسمالية يتم من خلال أربعة أنماط: (اغتراب الناتج، اغتراب العمل، الاغتراب عن الآخرين، اغتراب الذات) 1-اغتراب الناتج: يكون الناتج عند ماركس مغتربا عندما يرتبط العامل بناتج عمله كموضوع غريب عنه، ولا يكون الناتج غريبا بالنسبة لمنتجه وخارج سيطرته بسبب سيطرة إنسان آخر على هذا الناتج فقط، ولكن أيضا بسبب وجود قوة غير بشرية وهي مجموعة القوانين التي تحكم رأس المال والسوق، وبذلك يكتسب الناتج سمات الغربة والعداء التي تتصف بها القوة غير الإنسانية التي تحكمه، فهو إذا غريب بالنسبة لمنتجه من حيث إنه يعكس صورة السوق أكثر من شخصية المنتج⁽²⁾

2-اغتراب العمل: يكون العمل مغتربا في نظر ماركس حينما لا يعكس هذا العمل شخصية الفرد واهتمامه، حيث يقول: « إن العمل يغترب حينما يرتبط المرء بنشاطه باعتباره شيئا غريبا لا ينتمي إليه، فالعامل يرتبط بنشاطه هنا باعتباره نشاطا مقيدا، نشاطا يتم في خدمة وتحت سيطرة وقهر إنسان آخر»⁽³⁾.

فاغتراب العمل عند ماركس يعني أن الفرد لا يشعر بالألفة في العمل الذي يقوم به، بل قد يتجنبه لأنه ليس جزءا من طبيعته ولا تعبيرا عن شخصيته.

3-الاغتراب عن الآخرين: يؤدي اغتراب ناتج العمل والعامل إلى اغتراب الآخرين، حيث إن الفرد في المجتمع يصبح مجرد شيء يوجد فحسب من أجل شخص آخر، فيشعر الفرد

(5) المرجع نفسه، ص41.

(1) قيس النوري، الاغتراب، مرجع سابق، ص21.

(2) محمد عباس، الاغتراب والابداع الفني، مرجع سابق، ص46-47.

(3) المرجع نفسه، ص47.

حينها بالتشويء، ومن هنا ينشأ العداء المتبادل بين الأفراد في المجتمع المدني - كما يقول ماركس - ، أي أنه عالم من الأفراد المتنافرين الذين يعادي بعضهم بعضاً، وفي هذه الحالة يرى الفرد الآخرين كحاجز يعيق تحقيق ذاته، فالآخرون هم الاغتراب أو هم الذين يتسببون في اغتراب الفرد فيرى المجتمع مغتربا عنه⁽¹⁾.

4- اغتراب الذات: يرى ماركس أن اغتراب الذات يتجسد في معنيين يتضمن كل منهما فكرة الانفصال، فيشير مصطلح الذات في الحالة الأولى إلى شيء ما هو جزء من الشخص، بينما يشير في الحالة الثانية إلى طبيعة الإنسان الجوهرية:

أ- اغتراب الذات بالمعنى الأول: استخدم ماركس تعبير اغتراب الذات هنا ليقوم بشكل أكثر عمقا بتحديد اغتراب العمل وأيضا بتحديد اغتراب الناتج ، إذ أن -حسب رأيه- عمل الإنسان وإنتاجه هما حياته في شكل متموضع، ثم إنه إذا اغترب عنه، فإن ذاته تغترب عنه كذلك، لأنه عندما يتعلق العامل بنشاطه كشيء غريب عنه ولا ينتمي إليه تصبح طاقته الشخصية والروحية وحياته الشخصية غريبة عنه، فالحياة هي نشاط وحينما تخضع طاقة الفرد الشخصية (الروحية والعضوية) على نحو ما تتجلى في نشاطه وعمله لتوجيه آخر فإن حياته ذاتها لا تعود حياته، ومن ثم فإنه يغدو مغتربا عن ذاته⁽²⁾

ب- اغتراب الذات بالمعنى الثاني: يشير المعنى الثاني لاغتراب الذات عند ماركس إلى انفصال الفرد عن ذاته الإنسانية الحقة أو طبيعته الجوهرية، فذات الإنسان تغترب عنه إذا لم تفصح حياته عن سمات الحياة الإنسانية الحقة المتمثلة في الفردية والتمتع بالحساسية والاجتماعية.

ويتخذ اغتراب الذات سمات أخرى مقابلة لسمات الحياة الإنسانية، وتتمثل هذه السمات في: الإنتاج، الحياة الحسية، والحياة الاجتماعية⁽³⁾.

(1) محمد مشعالة، الاغتراب عند الإمام علي، أطروحة دكتوراه، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2009-2010م، ص76، نقلا عن ريتشارد شاخت، الاغتراب، تر كامل يوسف حسين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1980، ص152-153.

(2) محمد عباس يوسف، الاغتراب والإبداع الفني، مرجع سابق، ص49، نقلا عن شاخت، الاغتراب ، ص160.

(3) المرجع نفسه، ن ص.

قهر الاغتراب عند ماركس:

يرى ماركس أن ظاهرة الاغتراب ستبقى قائمة مادام المجتمع الرأسمالي قائما، ولا يمكن التغلب عليه إلا بإحداث تغيير جذري في بنية المجتمع المدني الرأسمالي القائم على نظام الملكية الخاصة والاستغلال، ولهذا السبب وجه نداءه لعمال العالم بأن يتحدوا ليطيحوا بالرأسمالية، وذلك من أجل التمهيد لإنشاء المجتمع الشيوعي الذي يتسم بالإلغاء التام لكل أشكال الملكية الخاصة فيغدو اغتراب الإنسان غير موجود(1).

3- الاغتراب عند سارتر:

يعد سارتر من أبرز فلاسفة الوجودية، التي تزعمها قبله كل من كيركيغارد وهيديجر، وقد استخدم سارتر اصطلاح الاغتراب بمعنيين جاء أحدهما في كتابه "الوجود والعدم" والثاني في كتابه "نقد العقل الجدلي".

أ- الاغتراب في الوجود والعدم: لقد تحدث سارتر في كتابه "الوجود والعدم" عن الاغتراب بمعنى الاغتراب عن الذات الموضوعية، إذ أن نظرة الآخر لي تجعلني أشعر بموضوعيتي أي بوجودي كما يراه الآخر، وحسب رأيه فإن هذا الوجود الموضوعي غريب بالنسبة له، كما أنه يؤدي إلى تغريب قدراته، حيث يقول "إن قدراتي أصبحت الآن مرتبطة بموضوعات هذا العالم، فأصبحت بعيدة عني كل البعد ضائعة في غمار هذا العالم، فأنا لست مجرد موضوع ولست شيئا ضمن أشياء أخرى، وإنما يتعين النظر إلى طبيعتي من خلال الحرية، وهكذا فإن قدراتي لا خصائصي المفروضة عليّ هي التي تحدد وجودي إلا أن الآخر في نظرتي لي لا ينظر لهذه الخصائص، وهو في نظرتي لي على هذا النحو لا أبدو له إلا كموضوع لا كذات حرة، حقا إنني لا تزال لي قدراتي ولكن في الوقت نفسه فإن هذه النظرة تؤدي إلى تغريب قدراتي عني(2).

(1) محمد عباس يوسف، الاغتراب والإبداع الفني، مرجع سابق، ص51.

(2) المرجع نفسه، ص51-52، نقلا عن سارتر الوجود والعدم، ص725.

والملاحظ أن سارتر قد استخدم الاغتراب فيما يتعلق بظاهرة معايشة المرء لذاته على نحو ما تتنظر إليه ذات أخرى كموضوع، إذ يرى سارتر أن المرء يسلب نقاء ذاتيته من خلال الوعي بوجوده كموضوع بالنسبة للآخر، وأن بعد الموضوعية الخاص بالفرد والذي يصبح المرء واعيا به على هذا النحو هو موضوع غريب بالنسبة له باعتباره ذاتاً⁽¹⁾ وهذه الفكرة تمثل حقيقة ميتافيزيقية كبرى إذ أنها تشكل جزءاً أساسياً من الوضع الإنساني؛ ذلك أن كل شخص عند سارتر منفصل عن الآخريه بهوة كبيرة لا يمكن عبورها، وأن المجتمع الحقيقي أمر مستحيل.

ب- الاغتراب في نقد العقل الجدلي: يماثل الاغتراب في كتاب سارتر (نقد العقل الجدلي) الاغتراب عند ماركس، فهو الإطار الذي يدور في فلك علاقة المرء بنشاطه الإنتاجي، إذ يرى في دراسته هذه أن الشخص يكون مغتربا ومتشياً ومضلاً على نحو ما جعله تقسيم العمل والاستغلال.

ويتفق سارتر مع ماركس في أن إنتاج الشخص من خلال العمل هو السبيل إلى تحقيق الذات باعتبار أن العمل هو تموضع الذات وتحقيقها، وبذلك يكون تموضع الذات ظاهرة إيجابية من خلالها تتطور حياة الشخص وشخصيته وفرديته.

كما يتفق كل من سارتر وماركس أيضاً على أن تموضع الذات (أي الناتج)، والنشاط المؤدي إلى تموضع الذات (أي العمل) إذا أصبغا تحت تأثير وسيطرة إنسان آخر، فإن الذات تصبح مغتربة، والملاحظ من قبل أن الاغتراب عند ماركس مرتبط بأوضاع اقتصادية واجتماعية مختلفة والتي يجب القضاء عليها، وقد شاركه سارتر في هذه الفكرة إلا أنه يناقضه من جهة أخرى في أن الاغتراب أمر ملازم بصورة حتمية للتموضع في هذا العالم حتى ولو لم توجد مثل هذه الأوضاع، كما يناقضه أيضاً في نفي الطبيعة الجوهرية للإنسان لأن الاغتراب عند ماركس يرجع إلى التنافر بين الوضع الفعلي للمرء وطبيعته الجوهرية، في

(1) محمد عباس يوسف، الاغتراب والإبداع الفني، مرجع سابق، ص52.

حين يظل سارتر مصرا على معارضة وجهة النظر القائلة بأن للإنسان نوعا من الطبيعة الجوهرية المثالية⁽²⁾.

رابعا- الاغتراب في الرواية الجزائرية:

منذ أن وطأت قدما الاستعمار الأراضي الجزائرية، حاول جاهدا طمس كل مقومات الشخصية الجزائرية؛ محاولا بذلك إدماج الجزائر في فرنسا، وقد استخدم الاستعمار الفرنسي، حجة تثقيف الشعب الجزائري أمام دول العالم، لكنه كان يضمّر عكس ذلك، فعانى الشعب الجزائري من القمع، والتهميش، والتعذيب، والجوع، فنتج عن ذلك شعوره بالاغتراب في وطنه؛ نتيجة تلك الظروف القاسية التي اضطر لمعايشتها، وكان لهذا الوضع عدة ردود فعل، فلم يكن من خيار أمام الشعب الجزائري إلا الرضوخ ظرفيا، ثم التمرد والثورة عليها. ولما كانت الرواية أكثر الفنون الأدبية تجسيدا للواقع، لجأ الكتاب الجزائريون - الذين لم يجدوا عن اللغة الفرنسية بديلا- إلى نقل معاناتهم إلى العالم، عن طريقها في الجزائر، فأخيرا وجد الكتاب الجزائريون ما يعبرون به عن اغترابهم الاجتماعي، والنفسي، والسياسي. وقد انقسم الروائيون الجزائريون الذين كتبوا باللغة الفرنسية إلى قسمين: قسم مجد فرنسا، ذلك أنهم قد تتلمذوا في مدارسها، وقسم ندد بكل الأعمال القمعية، التي استعملتها فرنسا ضد الجزائر.

لكن على الرغم من تمجيد روائي الفئة الأولى لفرنسا، إلا أن القضايا التي عبروا عنها، قد عكست بالرغم من كل ذلك، عديدا من الإشكالات المعقدة، التي كانت تطرحها تلك الثقافة بالنسبة للمجتمع الجزائري المسلم، ومن أبرز الروايات التي تناولت هذه الثقافة، رواية "زهراء امرأة المنجمي" لعبد القادر حاج حمو، بالإضافة إلى رواية "مأمون" لشكري خوجة"⁽¹⁾.

(2) المرجع نفسه، ص52-53.

(4) ينظر، أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي، نشأته وتطوره وقضاياها، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص96.

وقد تناول عديد الكتاب آنذاك؛ قضية الاندماج مع فرنسا، ورحبوا بمسألة الزواج المختلط بين الجزائريين والفرنسيات، وحتى بتزوّج الجزائريات بالفرنسيين في بعض الأحيان، وقد كان لهذا الزواج المختلط موقفان؛ إذ عده بعضهم ممكنا، لكنه لا يمكنه خلق الانسجام بين الطرفين، وهذا ما عبر عنه "شكري خوجة" في روايته "العلاج أسير برياراسك"، في حين عده بعضهم الآخر - وهم الأكثرية - السبيل الوحيد للتقارب، والتفاهم بين الطرفين، وهذا ما عبرت عنه رواية "مريم بين النخيل" لمحمد ولد الشيخ، و"بولنوار الفتى الجزائري" لزناتي، و"ليلى الفتاة الجزائرية" لجميلة دباش، لكن لم يستطع الجزائريون الاندماج في المجتمع الأوربي؛ نتيجة اختلاف المعتقدات، والعادات.(1).

وبذلك زاد شعور الجزائريين بالاغتراب، كما ذهب البعض - مثل مولود فرعون - إلى فكرة الاندماج، وهذا ما تناولته روايته "الأرض والدم La Terre et le sang" حيث يعاني فيها البطل "عامر" معاناة شديدة بسبب هجرته إلى فرنسا، طلبا للعمل، ليعود إلى قريته مع زوجته الفرنسية، ولكنه لا يتمكن من التأقلم مع واقعه الجديد، في قريته الصغيرة، فلا هو تمكن من التأقلم في الغربة، ولا تمكن من الحياة في قريته من جديد، إلا بصعوبة كبيرة، بالإضافة إلى روايته "ابن الفقير" التي صورت الصراع من أجل إجادة لغة غريبة، وثقافة غريبة؛ حيث يشعر "فورولو" بنفسه غريبا في المدرس الفرنسية، ويخشى الطرد لأتفه الأسباب(2).

وقد ابتعدت رواية "الدار الكبيرة" لمحمد ديب منذ ظهورها سنة 1952، عن فكرة الاندماج والتعايش السلمي مع المعمرين، لتدخل إلى أعماق المجتمع الجزائري، وتصور معاناة الفقراء فيه، وتنقل شعورهم بالاغتراب النفسي والاجتماعي(3).

(1) ينظر، أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي، نشأته وتطور، وقضاياها، مرجع سابق، ص102.
(2) نوال بن صالح، الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية وثورة التحرير، صراع اللغة والهوية، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر، بسكرة، ع 7، 2011، ص223.
(3) أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي، نشأته وتطور، وقضاياها، مرجع سابق، ص106.

بالإضافة إلى عديد الأعمال الروائية: كرواية "الربوة المنسية" و "الأفيون والعصا" لمولود معمري، و"رصيف الأزهار لا يجيب" لمالك حداد، و"تجمة" لكاتب ياسين، و"الكاتب" لياسمين خضرة، و"بحر الصمت" لياسمينه صالح.

لقد حاول الروائيون الجزائريون التعبير عن شعورهم بالاغتراب، بشتى أنواعه، من خلال أعمالهم الروائية، ونقل معاناتهم إلى الرأي العام العالمي.

II- الغيرية:

تعد الغيرية منطقا إنسانيا قوامه العلاقة بين الأنا والآخر، هذا الأخير الذي يعد من أبرز مجالات الأدب المقارن، إذ أنه عني بدراسة آداب الشعوب المختلفة (الشرقية والغربية)؛ حيث إن لكل أمة أدبا وحضارة خاصة بها، لكن بتطور مجالات الدراسات الثقافية والنقدية الثقافية، لم يعد الآخر مقتصرًا على دراسة حضارات الأمم المختلفة فحسب، بل أصبح من الممكن إيجاد داخل الأمة الواحدة آخر، فما هي الغيرية؟ وكيف تناولها اللغويون العرب والغربون؟ وكيف تجسدت الغيرية في الكتابات الأدبية العربية؟

أولا- تعريف الغيرية لغة:

1- في اللغة العربية:

وردت لفظة "الغيرية" في المعاجم العربية لتدل على معان كثيرة:

فقد جاء في "المعجم الوسيط" أن كلمة الآخر لها معنيين:

1- الآخر: أحد الشئيين ويكونان من جنس واحد، كقول المتنبي:

وَدَعُ كُلُّ صَوْتٍ غَيْرَ صَوْتِي فَأَنِّي أَنَا الصَّائِحُ المَحْكِيُّ وَ الأَخْرُ الصَّدَى

2- بمعنى غير: قال:

إِذَا قُلْتُ هَذَا صَاحِبٌ قَدْ رَضِيَتْهُ وَقَرَّتِ العَيْنَانِ بَدَلْتُ آخِرًا⁽¹⁾

(1) المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط 4، 1425-2004م، ص08.

يتضح لنا أن لفظة الغيرية في معناها اللغوي تدل على معنيين؛ الأول: أحد الشئيين، والثاني: غير، أي خلاف الشيء.

2- في اللغات الأجنبية:

تقابل لفظة الغيرية في اللغة العربية كلمة "Altérité" بالفرنسية و (Alterit, Otherness)، في الانجليزية، ولفظة "Altérité" مشتقة من الغير "Autre"، وهو كون كل من الشئيين خلاف الآخر، وقيل كون الشئيين بحيث يتصور وجود أحدهما مع عدم وجود الآخر، ويقابلها الهوية والعينية، وهي كون المفهوم من الشيء غير المفهوم من الآخر، قال ابن رشد: "إن الذي يقابل الواحد من جهة ما هو هي الغيرية"، والغيرية خلاف الإثنية، لأن الإثنية هي كون الطبيعة ذات وحدتين ويقابلها كون الطبيعة ذات وحدة أو وحدات. ولفظ "الغيرية" (Altruisme) عند المحدثين، هي الإيثار وهي مقابلة للأناية (Egoisme)، وتطلق في علم النفس على الميل الطبيعي إلى الغير، وفي علم الأخلاق على القول بوجوب "تضحية المرء بمصالحه الخاصة في سبيل الآخرين، والغير مرادف للسوي، ويطلق على الأعيان الخارجية من حيث تعييناتها".

أما الغيرية فهي مرادفة للتغاير، وهو أن يكون الشيء مختلفا عن غيره، قال ابن سينا: "فإن الأشياء المختلفة الأنفس تصير بها مختلفة الأنواع، ويكون تغايرها بالنوع لا بالشخص"، وكذلك المغايرة فهي والتغاير بمعنى واحد، قال ابن سينا: "فإن المغايرة بين أشياء مشتركة في حد واحد، إما لاختلاف المواد، وإما لاختلاف ما بين الكلي والجزئي".⁽¹⁾

نستنتج مما ذكر عن مصطلح الغيرية في اللغة اللاتينية أنها تعني الغير، وهو خلاف الشيء، كما أن لفظة غيرية تقابلها لفظة الهوية، وفي علم النفس لفظ غير مقابل للفظ الأنا، أي الأنا والآخر، أما عند المحدثين فإنها مقابلة للفظه الأناية.

لكن رغم تعدد مفاهيم الغيرية إلا أنها تندرج تحت تعريف أو معنى واحد ألا وهو: خلاف الشيء أي غيره.

(1) جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ج2، 1982، ص130-131.

3-مصطلح الغيرية في الموسوعات والقواميس الفكرية:

إن الغيرية (**Altruisme**) في معجم المصطلحات الأدبية جاءت لتدل على أنها: أولاً: قوم على الاهتمام براحة الآخرين والقلق عليهم، وهذا التعبير يعاكس الأناية **Egoïsme** .

ثانياً: أدبياً: تعني التزام الأديب بقضايا مجتمعه وأمته غير عابئ مما يجري له من عناء وجهد أو عذاب واعتقال.

وقد صاغ هذا التعبير الفيلسوف الفرنسي " أوجيست كونت **Oucest comte** " عن الكلمة الفرنسية **Autrui** ومعناها شخص آخر. (1)

وفي معجم المصطلحات الفلسفية نجد أن الغيرية **Altérité**: هي كون كل من الشئيين غير الآخر، وضدها العينية **L'identité**. والغيرية بوجه عام هي خاصية ما هو غيري أنا.

يقول مونتاني "**Montaigne**": إن الاختلاف بيني وبين نفسي لا يقل عن الاختلاف بيني وبين غيري"

ويقول فرويد **Freud**: "يلعب الآخر دائماً في حياة الفرد دور النموذج أو الشريك أو الخصم".

ويرى أندري جيد Andre Gide أن: "أفضل طريقة لمعرفة أنفسنا هي أن نعكف على معرفة غيرنا" (2)

ويقول "فولكي **Volkaa**" في معجم اللغة الفلسفية: "الآخر مستتب من الجذر اللاتيني **Alteriter** ومنه **Alterité**، والغيرية **Alteruisme** وهو مفهوم أساسي يمكن أن نعطيه معاني مختلفة منها: "المختلف **Le different**، "المتميز **Le distinct**، "المتنوع **Le divers**، "المنفصل **Le separé**" (3)

(1) نواف نصار، معجم المصطلحات الأدبية، عربي-إنجليزي، دار المعتز، عمان، ط1، 1431هـ-1، 2010م، ص238

(2) محمد بوزواوي، معجم المصطلحات الفلسفية، مرجع سابق، ص153.

(3) الحوار المتمدن، يومية سياسية، متاح على الموقع: <http://www.ahewar.org>، تم الاطلاع عليها يوم 2013/6/21، على الساعة 14:30.

مهما اختلفت المعاجم والقواميس التي تناولت مصطلح الغيرية فإنها تصب في معنى واحد هو: خلاف الشئيين، ونلاحظ من هذه التعاريف كلها أن معرفة الذات يتولد عنها معرفة الآخر المختلف عنا.

ثانياً-تعريف الغيرية اصطلاحاً:

تعد الغيرية منطقاً إنسانياً قوامه العلاقة بين الأنا و الآخر من خلال أدوار متباينة ومتشابكة ومتكاملة ومتعاكسة، ولتحديد الأنا بمختلف أبعاده لا بد من وجود الآخر. ويعود تطور مفهوم الغيرية داخل الدراسات المعاصرة إلى تطور جملة من المجالات المعرفية الأخرى مثل: النسوية، وأدب ما بعد الاستعمار، والجنوسية، والنقد الثقافي، والدراسات العرقية.

حيث يعرف مصطلح النجار وآخرون "الآخر" بأنه: "فرد أو جماعة لا يمكن تحديده إلا في ضوء مرجع هو (الأنا)، فإذا حددنا هوية الأنا كان الآخر فرداً أو جماعة يحكم علاقته بالأنا عامل التمايز وهو تمايز إطاره الهوية أحياناً والإجراء في أحيان أخرى(1) . ويقول "حسن حنفي": " غالباً ما يكون المقصود بالآخر صورته، والصورة بناء في المخيال، فيها تمثل واختراع، ولأنها كذلك فهي تحيل إلى واقع بانيتها أكثر مما تحيل إلى واقع الآخر"(2) .

ثم إن السمة التداولية الغالبة على لفظ "غيرية" **Altérité** تضمنها لمعنى: "التحول" و"التبدل"، و"المعارضة"(3).

فالغيرية تعلق وطموح الانفلات من شرنقة الهوية على اعتبار أن الهوية ليست بنية بسيطة بل وسيلة لفهم مزيج التطابق والاختلاف اللذين تتكون منهما حياة الإنسان(4).

(1) طارق بوحالة، النقد الثقافي وأنساق الغيرية، عودالند، مجلة ثقافية شهرية، 96ع، متاح على الموقع: <http://www.oudnad.net/spip.php?article112>، تم الاطلاع عليها يوم 2014/6/9، على الساعة 13:52.

(2) المرجع نفسه.

(3) شرف الدين ماجدولين، الفتنة والآخر، أنساق الغيرية في السرد العربي، دار الأمان، الرباط، ط1433، 1-هـ-2012م، منشورات الاختلاف، الجزائر.

(4) المرجع نفسه، ص22.

وفي نص "لبول ريكور" تبدو "الغيرية" متجلية بوضوح في تشابك غيرية الآخر مع غيري الأنا (الجسد)، حيث يقول: "إن غيرية الآخر بما هو غريب آخر غيري أنا تبدو وكأن ليس عليها فقط أن تتشابك مع غيرية الجسد الذي أنا هو، بل أن تعتبر عل طريقته بأنها سابقة لكل اختزال إلى الخاص **Au propre**، ذلك أن جسدي لا يظهر كل بين كل الأجسام، إلا بقدر ما أنا نفسي آخر بين كل الآخرين"⁽⁵⁾.

يتضح لنا مما سبق أن الغيرية تتحدد بتحدد الأنا (الذات) فإذا عرفت الذات عرف الآخر.

ثالثاً- الغيرية في الفكر الغربي:

1- عند المفكرين:

يمكن أن نؤرخ للعلاقة بين الشرق (العالم العربي والإسلامي) والغرب في التاريخ الحديث، بدخول نابليون الفرنسي إلى مصر، بجيشين عسكري وعلمي، فبسبب القوة العسكرية التي كان الجيش الفرنسي يمتلكها، لم يستطع المسلمون الدفاع عن أنفسهم، وبالجيش العلمي اكتشف الشرقيون، مقدار تخلفهم وانحطاطهم الحضاري، وعرفوا حقيقة الهوية، التي تفصلهم عن الركب الحضاري العالمي، مما ولد لديهم الرغبة في اللحاق به، وعدم التخلف عنه، والسؤال الذي ظل مطروحا، هو: كيف تقدم الآخر؟ وتأخرت الذات العربية؟

وقد اعتبر "برنارد لويس **Bernard lewis**" حملة نابليون (1795-1801)، أول قوة مسلحة عبت الطريق للغرب الحديث، في الشرق الأوسط، وأول شرارة كهربائية في التغريب، في الشرق الأوسط، كما تعتبر هذه العملية؛ بداية لمسيرة الهيمنة، والسيطرة الغربية (الاستعمارية) على مقومات العالم الإسلامي وثرواته، وبدأ الغرب ينسج خطته ومؤامراته، لمنع أي تقدم، أو تطور في العالم الإسلامي⁽¹⁾.

(5) بول ريكور، الذات عينها كآخر، تر: جورج زيناتي، منشورات المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2005، ص 601-602.
(4) محفوظ محمد، الإسلام، الغير، وحوار المستقبل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 1998، ص 11.

هذا ما جعل العلاقة التاريخية بين العالم الإسلامي والغرب، دائما علاقة توتر وحذر ومواجهة وصراع، يا ترى كيف ينظر (الآخر) الغرب إلى العرب؟

يعد غوته الأب الروحي لمصطلح الأدب العالمي والغيرية، إذ أن الأدب العالمي عنده يدل على الفترة التي كانت فيها الآداب واحدة، إنه مثالية توحيد كل الآداب في تركيب موسع، حيث تأخذ كل أمة نصيبها في نسق عالمي، إلا أن غوته كان يعرف جيدا بأن الأمر يتعلق بمثال مستبعد التحقيق، وأن أي أمة غير مستعدة للتخلي عن فرديتها(2).

مثلما هو الحال بالنسبة للمركزية الأوربية التي لا تقبل فكرة الآخر إلا إذا تطابقت مع رؤيتها أو أدخلت إليها سمات تتطابق مع مركزيتها المهيمنة، فالمركزية الأوربية ترى أن: «**الغرب هو العقل والآخرون هم الخرافة، والغرب هو التحضر والآخرون هم التخلف، والغرب هو المركز والآخرون هم الأطراف، وهذا ما ظل مستقرا في وجدان الغربيين وعقولهم سواء السياسية أو النخبة العلمية أو حتى الإنسان العادي**»(1).

ومن هنا نتج التصور الذي ظل سائدا إلى اليوم بأن الثقافات المهمشة ليس لديها ما يخولها إبداع عقلانية من رحم ثقافتها بالطريقة التي تتناسب مع استيعاب ثقافة المركز الغربي، وبالتالي فإنه: «**ليس أمام أصحاب هذه الثقافات إلا الذوبان بتلك الثقافة**»(2).

وهذا ما جعل الغرب ينظر إلى الآخرين الذين هم نحن العرب والشرق عموما بشكل خاص، والحكم عليهم وعلى كل ما يصدر عنهم في ضوء مقاييسه هو(نعني الغرب) المحكومة بثقافته وحضارته ومرجعياته، وهي المقاييس: «**التي تفوده إلى اعتبار أن الجنس الأوربي وما يرتبط به من أنماط معرفية وتجارب اجتماعية هو النموذج الذي يقاس عليه، وبالتالي لا تقوم الثقافات والتجارب الأخرى إلا على أساسه**»(3).

(2) سعيد علوش، مدارس الأدب المقارن، دراسة منهجية، المركز الثقافي العربي، ط1، 1987، ص47.
 (1) نجم عبد الله كاظم، نحن والآخر في الرواية العربية المعاصرة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2013م، ص43.
 (2) المرجع نفسه، ص43، نقلا عن محمد راتب الحلاق، نحن والآخر، ص34.
 (3) المرجع نفسه، ص43، نقلا عن محمد راتب الحلاق، نحن والآخر، ص35.

إذا فقد رأى الغرب في الشرق ما أراد أن يراه هو، فالغرب في كل الأحوال كان هو الذي يحكم، كان هو شاهد العصر، إذ أنه يقدم نفسه ويقدم رؤيته عن الآخرين، فهو العين التي تنتظر وتحاكم، كما ذكر ذلك ج.كونراد في كتابه (تحت أعين الغرب) والعنوان واضح الدلالة(4)

لقد نظر الغرب للآخر (الشرقي) نظرة تعال، حيث إننا في نظرهم دائما كنا الأضعف بالنسبة لهم، فكريا، وظلت هذه الفكرة سائدة، حتى أعمت الكثيرين عن رؤية مدى التطور الذي وصلنا إليه.

2- الفلاسفة:

عندما يتحدث المرء عن نفسه فإنه يتحدث عن الآخرين، ومن لم يستطع التحدث عن نفسه لم يستطع التحدث عن غيره، لذلك ترتبط مشكلة الغير ارتباطا وثيقا بمشكلة الذاتية والشخصية في تاريخ الفلسفة، وفيما يلي عرض لأهم مواقف الفلاسفة تجاه الغير (الآخر):

لم تكن الفلسفة اليونانية قبل سقراط تهتم بالإنسان اهتمامها بالأشياء لذلك برز تصور الشخصية عندها كمفهوم ديني أو مسرحي أكثر منه تصورا فلسفيا، وبعد ظهور سقراط تحول الانتباه الفلسفي إلى الإنسان تحولا واضحا، لكن المشكلة لم تتقدم كثيرا أو قليلا على يده، وقد كان لا بد له وهو الذي قضى حياته محاورا لغيره أن يغير تلك الحكمة التي تقول "اعرف نفسك بنفسك" لتصبح "اعرف نفسك... بغيرك"(1).

وقد حاول أفلاطون تأكيد الشخصية تأكيدا ضمنيا عندما تحدث عن الحب والجمال (فايدروس والمأدبة)، إذ يصف تسامي الفرد عن طريق الحب الذي يضمه لغيره من الناس، وفي ختام "الجمهورية" يقول أفلاطون: إن وحدة الحياة الإنسانية تختار نفسها في فعل خارج الزمان والمكان، وعلى كل حال فإن الهدف الأخير لأفلاطون هو بلوغ حالة تختفي فيها الشخصية، ويفنى فيها المرء في الجمال أو الخير اللاشخصي Impersonal(2).

(4) المرجع نفسه، ص43، نقلا عن محمد راتب الحلاق، نحن والآخر.

(1) فواد كامل، الغير في فلسفة سارتر، دار المعارف، القاهرة، د ط، د ت، ص12.

(2) المرجع نفسه، ص13.

وقد وضع "كانط" **Kant** "في نقد العقل العملي" قاعدة مفادها: "ألا يتخذ المرء من الآخر وسيلة، بل يجب أن ينظر إليه على أنه غاية في ذاته" ونحن بإزاء الآخرين كأننا أمام القانون الأخلاقي نفسه، وهي حالة يدعوها كانط بالاحترام **Le respect**، فكأن الاحترام هو الصلة التي يجب أن تقوم بيننا وبين الآخرين، وكانط هنا يصطنع الأفكار التي سبقها إليه روسو⁽³⁾.

والذات عند هيجل تفقد شخصيتها، وتتمحي حقيقتها في الذات المطلقة أو المطلق فهي جزء من الدولة ومن الحضارة التي كونتها ومن هذا المطلق الذي يبتلع كل شيء كما يبلغ تمام إدراكه لنفسه⁽¹⁾.

لكن رنوفيه **Rnovier** - وهو من أتباع كانط- يرى أن الذات المفردة الجزئية أهم وأكثر حقيقة من المطلق نفسه، إذ أنه يقسم الفلسفات وفقاً لهذه النظرة إلى فلسفات للأشياء، وللأشخاص

فالفلسفة الأولى (الأشياء) تقوم على الضرورة واللانهائية (اسبنوزا وهيجل) وتقوم الثانية على الحرية والتناهي.

وفي هذا الصدد يرى وليم جيمس - تلميذ رنوفيه- أن هيجل لم يدع للفرد مكانا في فلسفته، إذ أنه يؤكد على الذاتية والفردية في تجربته الدينية التي عاناها ونظريته في النشاط الإنساني⁽²⁾.

ونجد **هوكنج** يرى في كتابه "فكرة الله في التجربة الإنسانية" استحالة الفصل بين الذات والغير، ففي كل فعل من أفعال الوعي نعاين حضور الله وحضور الغير، وكل وعي هو في نفس الوقت "وعي بالمعية" **Co-consciousness**.

ويلعب التعاطف **Sympathie** عند شلر دورا خاصا، إذ أن الاتحاد الذي يتم بيننا وبين الآخرين سابق على الاتحاد بيننا وبين أنفسنا، والتعاطف لاعتقلي، فهو شعور أولي

(3) المرجع نفسه، ص14.

(1) فواد كامل، الغير في فلسفة سارتر، مرجع سابق، ص14، نقلا عن عبد الرحمن بدوي، الزمان الوجودي، ط2، ص15-16.

(2) المرجع نفسه، ص14.

يسبق فكرتنا عن أنفسنا، كما ذهب مين دي بيران إلى إمكان الاتصال المباشر بين الذوات، وهذه الفكرة توسع فيها شلر من بعده⁽³⁾.

وعلى نقيض شلر نجد مذهب الأنا وحدية **Solipsisme**، وهو المذهب الذي لا يعترف بوجود الآخرين وينكر إمكان الاتصال الإنساني إنكارا مطلقا، ويقول نتشة: «إننا لا نحب معرفتنا حالما ننقلها إلى الآخرين».

ويذهب "شترنر **Strener** إلى أبعد من ذلك فيعرف ذاته بأنها الوحيدة الكائنة في العالم، وليست الذوات الأخرى غير امتثالات لذاته، كما أنه يدعو إلى الانعزالية من وجهة نظر أخلاقية محضة، أو لا أخلاقية بمعنى أصح، ونجد هذا المذهب متجسدا في أشعار كل من ملارميه وقاليلى وبروست **Mallarmé, Valery, Braust**⁽¹⁾.

أما إذا اتجهنا إلى الفلسفة الوجودية فإننا نجدنا تلح على ضرورة وجود الآخرين، ويرى كيركجورد **Kierkegaard** "أنه إذا كان الاتصال المباشر مستحيلا بين الذوات فذلك لأنه عبارة عن اتصال خارجي مؤلف من معارف موضوعية، ولأنه يقتضي التأكد والثقة، في حين أن الموجود صيرورة دائمة، ومن ثم فهو غير واثق من نفسه، بل إنه يتغذى على عدم الثقة، فالتعبير يجب أن يكون دياليكتيكيا، بل هناك تناقض بين صورة التعبير ومضمونه⁽²⁾.

فلا بد أن يكون الاتصال غير مباشر عن طريق الرموز التي تدعو القلب والأغاز التي تجذب الانتباه ثم تغويه⁽³⁾، والحقيقة أن كيركجورد قد شغلته مشكلة التعبير الجمالي أكثر من انشغاله بمشكلة الاتصال.

ويعرض "كيركجورد **Kierkegaard**" في كتابه "إحدى الحسنين" لمشكلة الزواج، لكنه كلما مر الزمن فإنه يتغاضى عن هذه المشكلة متمما، والاتصال الوحيد الذي كان يشغله حقا هو الاتصال بينه وبين الله، فالذات في الأصل صلة...صلة مع نفسها، فكلما عادت الذات

(3) ينظر: المرجع نفسه، ص15.

(4) فؤاد كامل، الغير في فلسفة سارتر، مرجع سابق، ص15.

(2) المرجع نفسه، ص16، نقلا عن: جون فال، دراسات كيركجورد، ص283.

(3) المرجع نفسه، ص16، نقلا عن: Emmanuel Mounier, Introduction aux existentialismes, Paris, p92.

بالصلة على نفسها كان ذلك اتصالاً بالآخر - أي الله - والعكس صحيح، فكما اتصل المرء بالله شعر بذاتيته.

بعد العرض الموجز لأهم الآراء الفلسفية يتضح لنا أنه بتعدد الفلاسفة تعددت مواقفهم تجاه نظرتهم للآخر، فمنهم من ألغى الذات وجعلها موحدة في الذات المطلقة (الكل) مثل أفلاطون وهيكل، ومنهم من أقر بوجود الذات المفردة مقابل الذات المطلقة وأنه لا بد من أن تربطهما علاقة احترام متبادل مثل ما ذهب إليه كل من كانط وتلميذه رنوفييه، أما هوكنج فيرى أنه لا يمكن الفصل بين الذات والآخر من الجانب الديني ذلك أنه في كل فعل من أفعالنا نعي المعية الإلهية، أما شلر فيرى أن علاقتنا بالآخرين تسبق علاقتنا بذاتنا، ويناقضه في ذلك رأي مذهب الأنا وحدية هذا الأخير الذي ينكر وجود الآخرين. كانت هذه أبرز آراء الفلاسفة لمصطلح الغيرية، فقد اختلفت الآراء حوله.

رابعا- الغيرية عند العرب:

مع كل التفاعلات تاريخ لما يمر به العالم العربي والإسلامي، تطرح مقولة العلاقة بالآخر الحضاري، وهل هي ضرورية لمواكبة العصر والركب الحضاري، أم أننا ينبغي أن نغلق على أنفسنا الأبواب والنوافذ، حتى لا يتمكن هذا الآخر الحضاري من اختراقنا والتسرب إلينا. وقد كانت العلاقة التاريخية بين العالم الإسلامي والغرب، دائما علاقة توتر وحذر ومواجهة، وهذا التوتر لم يكن صدفة، وإنما كان وليد مجموعة من الأسباب والعوامل التاريخية؛ التي نتج عنها ظهور ثلاثة مواقف تجاه الغرب:

1- موقف القبول المطلق بالغرب (موقف الإعجاب بالآخر وربما الحماسة لإقامة

العلاقة معه): وقد نتج هذا الموقف نتيجة انبهار العرب، بما كانوا يرونه لدى الغرب، مع أول معالمه الحضارية؛ التي كانوا بعيدين عنها، سواء أكانت في علومهم التي لم يعرف العرب لها مثيلا، أو في الحركات الفكرية، أو في الثقافة الغربية التي بهرت المثقفين العرب، مما جعل البعض يرى بأنه إذا أراد العالم الإسلامي أن يتقدم، ويلحق بالركب الحضاري، لا بد له أن يقبل كل شيء يأتيه من الغرب، ويرفض كل موروثه الثقافي والاجتماعي والحضاري، وفي هذا الموقف يقول أحد دعاة: «الجواب الواحد الواضح لإنهاء التخلف والتأخر، هو أن نندمج في الغرب اندماجا في تفكيرنا وآدابنا وفنوننا وعاداتنا ووجهة نظرنا إلى الدنيا، الجواب الواحد الواضح هو أن تكون مصر قطعة من أوروبا»⁽¹⁾.

فهذا الرأي يدعو المجتمعات العربية والإسلامية فك ارتباطها الحضاري عن تاريخها وماضيها الإسلامي، والعمل على إدخال النظم والقيم والعادات الغربية في البنيان الاجتماعي والمعرفي والحضاري للعالم العربي والإسلامي.

(1) محمد محفوظ، الإسلام، الغير، وحوار المستقبل، مرجع سابق، ص18، نقلا عن: زكي نجيب محمود، شروق من الغرب دار الشروق، مصر، ص25.

2- موقف الرفض للآخر (الرفض المطلق)، وربما الصدام معه ومقاومته:

يقول مصطفى عبد الغني: «الغرب-كما نرى- لا يكتفي بالهيمنة وحدها، وإنما يسعى للنيل من عقيدتنا على اعتبار أن عالم الإسلام هو النقيض الذي يهدده مادام لم يدن له بعد بالطاعة والولاء»⁽¹⁾

إذا لا بد لنا أن يكون موقفنا من الغرب موقف الرفض التام لأنه العدو الحضاري للأمة الإسلامية، وأنه الداء المسبب لكل مشاكلنا وأزماتنا، لذلك وجب علينا غلق الباب على هذه الحضارة ورفضها بكاملها، فالنظريات الغربية التي تصدر إلينا لا تختزل نفسها على المستوى الاقتصادي أو السياسي فقط، وإنما هي تطرح نفسها كنظرية اقتصادية، ثقافية، اجتماعية، سياسية، حضارية بشكل عام، ومن ثم فاللحاق بالغرب اقتصاديا يعني الذوبان في المنظومة الغربية ثقافيا وسياسيا وحضاريا، ثم إن النخبة الفكرية والاقتصادية المتغربة صنعت وهيئت لكي تكون نخبة عقيمة لا تستطيع الاستغناء عن العالم الغربي، فهي مصممة بحيث تشبه الغرب في كل شيء، إلا في قيم الإبداع والاستقلال والقيم الإنسانية الجوهرية التي اعتمد الغرب عليها في نهضته الصناعية والمدنية⁽²⁾.

وهذا الموقف يدعو المجتمعات العربية والإسلامية إلى الانغلاق على نفسها والتشبث بماضيها وقيمها العربية والإسلامية، وعدم السماح للحضارة الغربية من اختراقها، أي يدعوها للجمود.

3- موقف الحياد من الآخر، والاستجابة المشروطة له:

يكون هذا الموقف وسطا بين موقف الإعجاب بالآخر والحماسة له وموقف الرفض المطلق له، إذ أنه يوصف بالموقف الحيادي أو الموضوعي؛ فإذا كان يلتقي بموقف الإعجاب بالآخر جزئيا فإنه يختلف عنه في عدم الحماسة له وعدم تقبله إلا قبولاً مشروطاً، وهذا القبول المشروط يجعله قريبا من موقف الرفض كذلك، لكنه لا يتطابق معه، ليبقى الصراع

(1) محمد محفوظ، الإسلام، الغير، وحوار المستقبل، مرجع سابق، ص57، نقلا عن: مصطفى عبد الغني، الاتجاه القومي في الرواية، ص108.

(2) المرجع نفسه، ص18-19.

بيننا وبين الغرب فنقاوم ونرفض مغرباته التي تتناقض مع حضارتنا، « إن للحضارات الإنسانية دورات تاريخية تتبادل فيها دور التابع والمتبوع، لكن التاريخ علمنا أن التبعية والتقليد، مهما أحكمت حلقاتهما، لم تصلا إلى حد التماثل الحضاري، أو التماهي المطلق مع الحضارة القوية، ومن هنا ظل الصراع قائما، وسيبقى قائما على حد قول د. محمد عمارة»⁽¹⁾. إذا فالموقف الحيادي (الموضوعي) يعترف بوجود الآخر (الغرب)، ويقر بقوته وتفوقه على الشرق (العرب)، وفي الوقت نفسه يرى سلبياته، فلا مانع عنده من الاتصال به شرط تجنب سلبياته، وذلك من أجل الحفاظ على الهوية العربية.

ولعل أهم موقف من بين المواقف الثلاثة الآتية الذكر: الموقف المحايد (الموضوعي)، إذ أنه لا يميل كل الميل إلى الآخر ويتحمس له، فيقلده تقليدا أعمى، وبذلك تفقد الذات العربية هويتها، كما أنه لا يميل كذلك لرفضه رفضا مطلقا؛ حتى لا تتفوق الحضارة العربية على نفسها وتوصف بالجمود، ولا تلحق بالركب الحضاري، فالواجب عليها الانفتاح على الآخر ومحاورته، لتستمد منه كل ما ينفعها من التطورات العلمية، مع المحافظة على قيم الحضارة العربية.

-مراحل حضور الآخر في الرواية العربية:

1- المرحلة الأولى: وتمتد من منتصف القرن التاسع عشر حوالي 1834م، إلى نهاية الحرب العالمية الثانية، وكانت المرحلة الأولى منها (1834 - 1914)، مرحلة المواجهة الأولى للعرب، مقابل الغرب؛ لذلك جاءت صورة الآخر الغربي في أعمال الروائيين مشوشة، وغامضة في أغلبيتها، وقد كانت أعمال الكتاب في هذه المرحلة، تدعو إلى الأخذ من الغرب كل ما يحتاجه العرب لنهضتهم، مع الابتعاد أو التخلي عن كل ما لا يتوافق مع معتقداتهم، وقيمهم وعاداتهم، ومن أهم هذه الأعمال: رفاة الطهطاوي في "تخليص الإبريز في تلخيص

(1)د. نجم عبد الله كاظم، نحن والآخر في الرواية العربية المعاصرة، مرجع سابق، ص57، نقلا عن: محمد راتب الحلاق، نحن والآخر، ص31.

باريز " 1834، وعلي مبارك في " علم الدين " 1836، وأحمد فارس الشدياق في " الساق على الساق " 1887⁽²⁾.

أما فيما يخص المرحلة الثانية منها، فقد اشتملت على أمرين: التأسيس الفني للرواية العربية، وتطورها في البلدان العربية، والثاني، انفتاح العرب أكثر، وتعد رواية " عصفور من الشرق " لتوفيق الحكيم عام 1939، أول عمل فني تناول قضية لقاء الشرق بالغرب، في هذه المرحلة، بالإضافة إلى رواية " بديعة وفؤاد " لعفيفة كرم 1914، و " عودة الروح " لتوفيق الحكيم 1933، ورواية " الدكتور ابراهيم الهاشم " ليحيى حقي 1944، وقد أسهمت هذه الروايات في التأسيس الفني للرواية.

2- المرحلة الثانية: وتمتد من بعد الحرب العالمية الثانية سنة 1945، إلى حقبة التحرر والاستقلال في الخمسينات والستينات، وامتدادا إلى نكسة حزيران 1967، وكان من أهم الأعمال التي برزت فيها، روايات: "قوس قزح" 1946 لشكيب الجابري، و"الحي اللاتيني" 1953 لسهيل إدريس، و " الشارع والعاصفة " 1954 لحنا مينة، و " موسم الهجرة إلى الشمال " 1966 للطيب صالح⁽¹⁾.

وقد اهتمت عديد الروايات في هذه المرحلة، بالكشف عن هوية الذات مقابل الآخر.

3- المرحلة الثالثة: و تمتد من نكسة حزيران 1967، إلى حرب الخليج الثانية 1991، وتعد هذه المرحلة امتدادا للمرحلة السابقة، وقد ازداد عدد الروايات التي عالجت موضوع الشرق والغرب، وقد كان ذلك طبيعيا، نتيجة تراكم تجربة الكتابة الروائية وتطورها، بالإضافة إلى تراكم تجربة العلاقة مع الآخر، متأثرة بالواقع الجديد وأحداثه، كحرب تشرين 1973، وحرب الخليج الأولى، والحرب العراقية الإيرانية 1980-1988، ولعل أهم الروايات التي صدرت في هذه المرحلة، نذكر: " السفينة " لجبرا ابراهيم جبرا 1971، " الغربة " لعبدالله

(2) المرجع نفسه، ص84.

(1) نجم عبد الله كاظم، نحن والآخر في الرواية العربية المعاصرة، مرجع سابق، ص84-85.

العروي 1971، و"البرتقال المر" لسمى الحفار 1975، و"الحب في المنفى" لبهاء طاهر 1985⁽²⁾.

4- المرحلة الرابعة: تمتد من حرب الخليج الثانية 1991، إلى 2010، وتعد هذه المرحلة استمرارا طبيعيا للمراحل التي سبقتها، من حيث التطور الفني للرواية العربية، وأكثر ما يميز رواياتها، أنها أكثر استيعابا في تعاملها مع الآخر، بالإضافة إلى أن كتابها أنضج وأوسع رؤية، في معالجة موضوع علاقة العرب بالآخر الغربي، ومنها في المراحل السابقة، ومن أهم وأبرز روايات هذه المرحلة، نذكر: "أمس كان غدا" 1992 لكاظم الأحمد، و"كم بدت السماء قريبة" 1999 لبتول الخضري، و"رقص على الماء" 2000 لمحمود البياتي، و"عابر سرير" 2002 لأحلام مستغانمي⁽¹⁾.

لقد تنوعت نظرة العرب للغرب من خلال المراحل العديدة، التي مرت بها الرواية العربية، فكلما اتصل العرب أكثر بالغرب، سواء من خلال البعثات العلمية، أو الاستعمار، أو السياحة، ازدادت كتاباتهم حول هذا الآخر المتمثل في الغرب.

(2) المرجع نفسه، ص92.

(1) نجم عبد الله كاظم، نحن والآخر في الرواية العربية المعاصرة، ص98-99.

الفصل الأول: الشخصية الروائية والاختراجه

تمهيد:

-I تعريف الشخصية

-II أنواع الشخصية

أولاً: الشخصية الرئيسية

ثانياً: الشخصية الثانوية

-III اختراجه الشخصية الروائية

أولاً: اختراجه اجتماعي

ثانياً: اختراجه لغوي وثقافي

ثالثاً: اختراجه اقتصادي

تعد الشخصية من أهم ركائز بناء الرواية، مما جعلها تستقطب آراء العديد من النقاد والدارسين خاصة في الدراسات السردية، فهي بؤرة العمل الروائي ولبّه، ولا يمكن له أن يقوم ويتكون إلا على أساسها، لأنها: "ركيزة الروائي الأساسية في الكشف عن القوى التي تحرك الواقع من حولنا، وعن ديناميكية الحياة وتفاعلاتها، فالشخصية من المقومات الرئيسية للرواية، وبدون الشخصية لا وجود للرواية لذا تجد بعض النقاد يعرفون الرواية بقولهم الرواية شخصية"⁽¹⁾.

ونظرا لأهمية عنصر الشخصية في العمل الروائي وفي الدراسات النقدية، ارتأينا قبل الولوج لدراسة اغتراب شخصيات رواية الأرض والدم، تقديم أهم التعريفات التي قدمت حول عنصر الشخصية وكيفية اغترابها في الرواية.

1- تعريف الشخصية:

1- لغة: وردت لفظة " الشخصية" في اللغة العربية لتدل على معان كثيرة، فقد جاء في " لسان العرب" أنها من مادة (شَخَصَ)، و الشَّخْصُ: جماعة شخص الإنسان وغيره، مذكر والجمع أشخاص وشخوص وشخاص، والشخص: سواد الإنسان وغيره تراه من بعيد، تقول ثلاثة أشخاص، والشخص كذلك: كل جسم له ارتفاع وظهور والمراد به إثبات الذات، فاستعير لها لفظ الشخص، والشخيص: العظيم الشخص، والأنثى شخيصة، وشخص من بلد إلى بلد شخوصا، أي ذهب⁽²⁾، وكذلك شخص بصره فهو شاخص إذا افتتح عينيه وجعل لا يطرف⁽³⁾.

فالشخصية في اللغة العربية متعددة المعاني منها أنها تدل على هيئة الإنسان، أي الذات البارزة والظاهرة للعيان، فهي إذا تدل على المعنى الحسي المقترن بالشخص، فالشخصية بهذا المعنى تحمل ملامح داخلية وخارجية تدل على طريقة تفكير وتفاعل الإنسان مع غيره من أفراد ومحيط، وتتحدد بأنها مجموع صفات وأفعال خاصة بكل فرد إنساني يتميز بها عن

(1) محمد التونجي، المعجم المفصل في الأدب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1993م، ص456-457.

(2) أبو الفضل جمال الدين بن مكرم ابن منظور الإفريقي، لسان العرب، مج 7، دار صادر، بيروت، دت، د ط، ص45-46.

(3) محمد بن بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، دار الكتاب العربي، بيروت، د ط، دت، ص331-332.

غيره، لذلك يقال لمن لا توجد فيه هذه الصفات " فلان لا شخصية له"⁽¹⁾ أي ليس فيه ما يميزه عن غيره، بالإضافة إلى ذلك فإنها تشير إلى معان أخرى بحسب استخدامها.

وتقابل لفظة الشخصية في اللغة العربية لفظتي **Personnalité** في الفرنسية، ولفظة **Personality** في الانجليزية، وهي عند القدماء التشخص الفردي أو الفردية، وعند المحدثين جملة من الخصائص الجسمية والوجدانية والنزوعية والعقلية التي تحدد هوية الفرد وتميزه عن غيره، وللشخصية عند علماء النفس جانبان أحدهما ذاتي والآخر موضوعي، فالجانب الذاتي هو الذي يعبر عنه الفرد بقوله (أنا) مشيراً بذلك إلى حياته العقلية والعاطفية والإدراكية والإرادية والجسمية، من حيث هي موحدة ومستمرة، وتكون بذلك الذات مدركة إدراكاً تدريجياً، فالطفل مثلاً لا يشعر بشخصيته شعوراً واضحاً، ولا يعرف أنه مستقل عن العالم الخارجي إلا أنه متى كبر في السن فرق بين جسده والأشياء الخارجية، ثم فرق بين جسده ونفسه، ولا يزال المرء يجرد نفسه من اللواحق الخارجية حتى يصبح ذاتاً مستقلة متصلة بالوحدة بما فيها من وجدان وفكر وإرادة وحرية، أما الجانب الموضوعي فيتألف من مجموع ردود الفعل النفسية والاجتماعية التي يواجه بها الفرد بيئته، أو من أنماط السلوك التي تعينه على تكيف نفسه وفقاً للبيئة⁽²⁾.

والشخصية بهذا المعنى تدل على مجموع الخصائص المحددة للإنسان جسمياً واجتماعياً ووجدانياً، فتظهره بمظهر متميز عن الآخرين، ولا يمكن لها أن تكتمل إلا بعد المرور بعدة مراحل تنتج عنها الشخصية المميزة للإنسان، والتي تختلف من شخص لآخر.

أما لفظة شخص فيقابلها في الفرنسية لفظة **Personne**، وفي الانجليزية لفظة **Person**، وهي تعني الذات الواعية لكيانها (المستقلة في إرادتها) الحرة في تصرفاتها، وإذا أُطلق على الله قيل: الذات، ومنه الشخص الأخلاقي **Personne morale** وهو من

(1) محمد جودي، شعرية الشخصية والمكان الروائي في عائد إلى حيفا، لغسان كنفاني، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر 2، 2011-2012م، ص28، نقلاً عن علي بن هادية وآخرون، القاموس الجديد للطلاب، تق محمود المسعدي، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط7، 1991، الجزائر، ص14.

(2) جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، مكتبة المدرسة، بيروت، ج1، 1982م، ص692.

توافرت فيه صفات تؤهله للمشاركة العقلية والأخلاقية في مجتمع إنساني، بحيث تجعله يميز بين الحق والباطل والخير والشر⁽¹⁾.

ويمكننا التفريق بين شخصية وشخص بالعودة إلى معانيهما اللغوية، فالشخصية "تتشرك مع الكلمة شخص **Person** في الجذر الدلالي المتعلق بالظهور والتجلي، غير أن الفرق بينهما يكمن في طبيعة الشيء الذي هو موضوع للظهور، فالكلمة **Person** تختص في الأغلب بالظهور الجسمي أو الهيكلي، بينما تختص الكلمة **Character** بالجوانب المعنوية (الفكرية والأخلاقية والنفسية) إذ غلب عليها أن تدل على الخصائص والصفات الفكرية والسلوكية في حالة ظهورها، لتشكل بتفاعلها الهوية الخاصة بالشخصية، وسواء في ذلك أكانت هذه الشخصية حقيقية أم متخيلة، واقعية أم اعتبارية"⁽²⁾.

وقد قامت اللفظة اللاتينية **Persona** بتوحيد لفظتي "شخصية وشخص"، ذلك أنها تعني: "القناع الذي يرتديه الممثلون اليونانيون في احتفالاتهم وتمثيلاتهم لإخفاء معالم شخصياتهم الحقيقية"⁽³⁾.

فهذا التعريف يشمل الجوانب الجسمية والمعنوية المكونة للشخصية.

2- اصطلاحاً:

يذهب عدد من الباحثين إلى تحديد تعريف إجرائي للشخصية إذ يقولون:

"أنها ذلك المفهوم أو ذلك الاصطلاح الذي يصف الفرد من حيث هو كل موحد من الأساليب السلوكية والإدراكية المعقدة التنظيم، التي تميزه عن غيره من الناس وبخاصة في المواقف الاجتماعية"⁽⁴⁾.

(1) المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، د ط، 1403هـ-1983م، ص101-102.
(2) وثام رشيد عبد الحميد ديب، تقانات السرد في الخطاب الروائي العربي في فلسطين من 1994-2006، مذكرة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، 1431هـ-2010م، ص95، نقلا عن عبد الرحمن بسيسو، قصيدة القناع في الشعر العربي المعاصر، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1999، ص28.

(3) سعد عودة حسن عدوان، الشخصية في أعمال أحمد رفيق عوض الروائية، دراسة في ضوء المناهج النقدية، مذكرة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، 1435هـ-2014م، ص6، نقلا عن داوود حنا، الشخصية بين السواء والمرض، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1991، ص7.
(4) عبد السلام فاتح، تربييف السرد، خطاب الشخصية الريفية في الأدب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2001، ص25، نقلا عن: لويس كامل وآخرون، الشخصية وقياسها، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1959، ص13.

فالشخصية تتحدد وفق أساليب سلوكية وإدراكية مترابطة يكمل بعضها بعضا في تنظيم محدد حتى يكون منها كلا موحدًا.

وكان من الصعب على علماء النفس والاجتماع أن يحددوا معاني واضحة ودقيقة للشخصية، لكن قد استطاع العالم ألبرت **Allport** تحديد معان مختلفة قد اتخذها هذا اللفظ في استخداماته المختلفة، وقد توصل في الأخير إلى تصنيف هذه المعاني في صنفين رئيسيين: أولهما المعنى الذي يتخذه لفظ "الشخصية" كتعبير عن المظهر السطحي الخارجي، وثانيهما المعنى الذي يتخذه هذا اللفظ تعبيرًا عن جوهر الإنسان أي طبيعته الداخلية، هاتان الوجهتان للنظر إلى الشخصية بينهما غاية الخلاف⁽¹⁾.

ويعرف **واطسن Watson** الشخصية بقوله: "الشخصية جماع أنواع النشاط التي نلاحظها عند الفرد عن طريق ملاحظته ملاحظة فعلية خارجية لفترة طويلة كافية من الزمن تسمح لنا بالتعرف عليه حق التعرف، أي أن الشخصية ليست أكثر من النتائج النهائي لمجموعة العادات عند الفرد"⁽²⁾.

هذا التعريف يجعل الشخصية منحصرة في العوامل الموضوعية فقط، ويلغي العوامل الذاتية التي تساهم هي الأخرى في تكوين الشخصية المثالية، فالعوامل الذاتية والموضوعية مترابطة حيث تكمل الأولى الثانية فلا يمكن الفصل بينهما.

وفي رأي معارض نجد تعريف "وان وكارميل **Wan, Karamel**" الذي يؤكد وجود تكوينات نفسية داخلية، إذ يرى أن: " الشخصية هي التنظيم العقلي الكامل للإنسان عند مرحلة معينة من مراحل نموه، وهي تتضمن كل ناحية من النواحي النفسية: عقله ومزاجه ومهاراته وأخلاقه واتجاهاته التي كونها خلال حياته"⁽³⁾.

(1) ، عبد السلام فاتح، تريفيف السرد، خطاب الشخصية الريفية في الأدب، مرجع سابق، ص26، نقلا عن لويس كامل وآخرون، الشخصية وقياسها، ص6-7.

(2) المرجع نفسه، ص26، نقلا عن لويس كامل وآخرون، الشخصية وقياسها، ص5-7.

(3) المرجع نفسه، ص27، نقلا عن لويس كامل وآخرون، الشخصية وقياسها، ص8.

يتحدث هذا التعريف عن العوامل الذاتية المكونة للشخصية ويذهب تماما العوامل الموضوعية (الخارجية)، فالشخصية لا يمكن لها أن تتكون بعيدا عن العوامل والظروف الخارجية المحيطة بها، فكلاهما يكملان بعضهما ولا يمكن الفصل بينهما، إذا فالشخصية هي نتاج تضافر العوامل الذاتية والموضوعية لتكوينها في أحسن صورة.

وقد عرفها "جيرالد برنس **Gerald prince**" في المصطلح السردى بأنها: "كائن موهوب بصفات بشرية وملتزم بأحداث بشرية، والشخصيات يمكن أن تكون مهمة أو أقل أهمية (وفقا لأهمية النص)، فعالة (حين تخضع للتغير)، مستقرة (حينما لا يكون هناك تناقض في صفاتها وأفعالها)، أو مضطربة وسطحية (بسيطة لها بعد واحد فحسب، وسمات قليلة، ويمكن التنبؤ بسلوكها)، أو عميقة (معقدة لها أبعاد عديدة قادرة على القيام بسلوك مفاجئ)⁽¹⁾.

فالشخصية الروائية عند جيرالد برنس صورة مصغرة للشخصية الواقعية، ذلك أنها تتمتع بنفس صفاتها الذاتية والموضوعية، وهي متنوعة في كل رواية من حيث الأهمية. والشخصية في الدراسات السردية: "هي هذا العالم المعقد الشديد التركيب المتباين التنوع، تتعدد الشخصية الروائية بتعدد الأهواء والمذاهب والأيديولوجيات والثقافات والحضارات والهواجس والطبائع البشرية التي ليس لتنوعها ولا لاختلافها من حدود"⁽²⁾.

ويختلف مفهوم الشخصية في الأعمال الروائية باختلاف المبدع/الروائي الذي يتناولها ويتحدث عنها، وقد تطورت النظرة إلى الشخصية عبر المراحل الروائية المختلفة، فمثلا الشخصية عند الواقعية التقليدية هي شخصية حقيقية، شخص من لحم ودم " لأنها شخصية تنطلق من إيمانها العميق بضرورة محاكاة الواقع الإنساني المحيط، بكل ما فيه من محاكاة تقوم على المطابقة التامة بين زمني ثنائية السرد/الحكاية"⁽³⁾.

(1) سعد عودة حسن عدوان، الشخصية في أعمال أحمد رفيق عوض الروائية، مرجع سابق، ص6، نقلا عن جيرالد برنس، المصطلح السردى، ترجمة عابد خزندار، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2003، ص 42-43

(2) عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة، الكويت، ديسمبر 1889، د ط، ص73.

(3) عبد الناصر هلال، آليات السرد في الشعر العربي المعاصر، مركز الحضارة العربية للنشر، القاهرة، ط 1، 2006، ص86، نقلا عن آمنة يوسف، تقنيات السرد، الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، 1987، ص25

وقد اهتم الكلاسيكيون بالشخصية اهتماما كبيرا، وكانوا حريصين على الدقة في تصوير شخصياتهم إذ أنهم قد " تميزوا بخلق نماذج بشرية خالدة، ولا أدلّ على ذلك من أن نرى معظم مسرحياتهم تحمل كعنوان لها أسماء أبطالها، حتى اكتسبت تلك الشخصيات طابع النموذج البشري، وأصبح لها وجود مستقل وكأنها شخصيات تاريخية لا مجرد شخصيات روائية محبوسة داخل الأعمال الأدبية التي صورت فيها"⁽¹⁾.

أما الرومانسيون فلم يكن اهتمامهم بالشخصية أقل من الكلاسيكيين، ذلك أنهم ينظرون إلى شخصياتهم " التي خلقوها نظرة ملؤها الإعجاب والتقدير ف"ولتر سكوت" كان ينظر إلى بطولاته نظرة إجلال وتقديس، وقد تصل به أحيانا إلى حد العبادة، وهذا شأن أكثر الكتاب الرومانطيين"⁽²⁾.

فقد قدس كل من الواقعيين والكلاسيكيين والرومانطيين الشخصية الحكائية في العمل الروائي حتى غدت عندهم شخصية حقيقية واقعية من لحم ودم، وأهملوا فكرة أنها من وحي خيال الروائي وتكون بذلك مجرد شخصية على ورق وبعيدة كل البعد عن الواقع " لقد كان التصور التقليدي للشخصية يعتمد أساسا على الصفات مما جعله يخلط كثيرا بين الشخصية الحكائية (Personnage) والشخصية في الواقع العياني (Personne)⁽³⁾ مما جعل "ميشال زرافا Michel Zaraffa" يميز بين الاثنين حيث إنه قد اعتبر الشخصية الحكائية علامة فقط على الشخصية الحقيقية " إن بطل الرواية هو "شخص" (Personne) في الحدود نفسها التي يكون فيها علامة على رؤية ما للشخص"⁽⁴⁾.

(1) علي عبد الرحمن فتاح، تقنيات بناء الشخصية في رواية ثرثرة فوق النيل، مجلة كلية الآداب، العراق، ع 102، د ت، ص 47، نقلا عن محمد مندور، الكلاسيكية والأصول الفنية للدراما، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، د ط، د ت، ص 84.

(2) المرجع نفسه، ن ص، نقلا عن محمد يوسف نجم، فن القصة، دار صادر، بيروت، دار الشروق، عمان، ط 1، 1996، ص 78.

(3) حميد لحميداني، بنية النص الأدبي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الدار البيضاء، بيروت، ط 3، 2000، ص 50، نقلا عن آلان تروبول غرييه، نحو رواية جديدة، تر مصطفى إبراهيم مصطفى دار المعارف، مصر، د ط، د ت، ص 35.

(4) المرجع نفسه، ص ن، نقلا عن Michel zaraffa, Personne et personnage, Ed Klicksieck, 1971, P470.

والشخص أيضا عند السيميائيين "كائن حي واقعي له حالة ودلالة في الواقع، أما الشخصية فهي ما يحمله الشخص من تخيل وتصور عن طبيعة الشخصية التي يعطى لها دور من الأدوار في القصة"⁽¹⁾.

فالملاحظ على التعريف السيميائي أنهم يفرقون بين الشخص الموجود في الواقع، وبين الشخصية الورقية التي يسند لها الروائي دورا في قصته أو روايته.

وتعامل الشخصية في الرواية التقليدية على أساس أنها كائن حي له وجود فيزيقي، فتوصف ملامحها وقامتها وصوتها وملابسها، وسحتها، وسنها وأهواؤها وهواجسها، وآمالها وآلامها وسعادتها وشقاؤها، ذلك بأن الشخصية كانت تلعب الدور الأكبر في أي عمل روائي يكتبه كاتب رواية تقليدي أمثال بلزك ونجيب محفوظ، ويبدو أن العناية الفائقة برسم الشخصية أو بنائها في العمل الروائي، كان له ارتباط بهيمنة النزعة التاريخية والاجتماعية من جهة، وهيمنة الأيديولوجيا السياسية من جهة أخرى.

وقد ظل ذلك قائما إلى بداية القرن العشرين، بيد أن الرؤية إلى الشخصية تغيرت فأنشأ الروائيون يميلون للحد من غلوائها والإضعاف من سلطانها في الأعمال الروائية، فلم تعد إلا مجرد كائن ورقي بسيط، وذلك انطلاقا من نهاية الحرب العالمية الأولى، ولم يعد الروائيون يدرسون الشخصية في نفسها أي على أساس أنها شخص أو فرد، وإنما بدؤوا في التفكير بدراستها أو تحليلها في إطار دلالي حيث تصبح الشخصية حينها مجرد عنصر شكلي وتقني للغة الروائية مثلها مثل السرد أو الوصف أو الحوار⁽²⁾.

فلم تعد الرواية الحديثة تأبه للشخصية بل أكثر من إيدائها وعملت على تظليل مكانتها الممتازة التي كانت تتبوؤها في حزن الرواية التقليدية فإذا هي مجرد رقم أو مجرد حرف أو مجرد اسم غير ذي معنى⁽³⁾.

(1) سعد عودة حسن عدوان، الشخصية في أعمال أحمد رفيق عوض الروائية، مرجع سابق، نقلا عن محمد أيوب، الشخص والشخصية في القصة الغربية، دراسة سيميائية، ص3.

(2) ينظر عبد الملك مرتاض في نظرية الرواية، مرجع سابق، ص76-77، نقلا عن Michel Zeraffa, *leroman*, in *la littérature etgenres litterares*, P102.

(3) ينظر المرجع نفسه، ص48.

لقد شكك الشكلاونيون في مفهوم الشخصية وأنكروا ضرورتها، كما أنهم رفضوا التصور التقليدي الذي يربط بين الشخصية القصصية والشخصية الاجتماعية، ونظروا إليها على أنها "كائن لغوي لا وجود له خارج الكلمات، وهي تشبه العلامة اللغوية المكونة من دال ومدلول، وإن وجودها ليس منجزا بشكل مسبق بل هو مرتبط بالتحليل وآلياته، وبالقارئ من خلال فهمه وتأويله للعمل الروائي"⁽¹⁾.

وقد ذهب "تودوروف" هو الآخر إلى أن الشخصية الروائية ما هي إلا "مسألة لسانية قبل كل شيء ولا وجود لها خارج الكلمات وإنما كائن من ورق"⁽²⁾.

فالتصورات الحدائية تلغي وجود الشخصية القصصية كذات لها خصوصية، بل تحاول أن تظهرها على أنها مجرد علامة ولكن إلغاء الشخصية القصصية ضرب من العبث، لأنها عنصر أساس في العمل القصصي كله، بل إن بقاء الفن الروائي مرتبط بوجود الشخصية ذلك أن أغلب الروايات ما هي إلا أحداث وأفعال تقوم بها الشخصيات.

يتضح مما سبق أهمية عنصر الشخصية في بناء الرواية إذ لا يمكن أن يقوم أي عمل سردي دون شخصية، فعناصر السرد تكمل بعضها البعض وإذا أنقص عنصر منها أخل ذلك بالعمل الروائي، فالشخصية هي عنصر محوري في كل سرد بحيث لا يمكن تصور رواية دون شخصيات و" من ثم كان التشخيص هو محور التجربة الروائية"⁽³⁾.

II-أنواع الشخصية:

أولا -الشخصية المحورية/الرئيسية:

وهي الشخصية التي تقوم بعمل رئيسي في العمل الروائي، إلى جانب شخصيات تقوم بأدوار ثانوية وهي لا تقل أهمية منها، فالشخصية الرئيسية هي: "التي تقود الفعل وتدفعه إلى

(1) علي عبد الرحمن فتاح، تقنيات بناء الشخصية في رواية ثرثرة فوق النيل، مرجع سابق، ص47، نقلا عن وليد إبراهيم القصاب، من قضايا الأدب الإسلامي، دار الفكر، دمشق، 1429هـ-2008م، ص179.

(2) المرجع نفسه، ص ن، نقلا عن تودوروف، الشخصية، مجلة الحرس البلدي، ص106.

(3) محمد بو عزة، تحليل النص السردي، تقنيات ومفاهيم، منشورات الاختلاف، الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، دار الأمان، الرباط، ط1، 1431هـ-2010م، ص39، نقلا عن روجر ب. هينكل، قراءة الرواية، تر صلاح رزق، دار الآداب، ط1، 1995، ص98.

الأمام، وليس من الضروري أن تكون الشخصية الرئيسية بطل العمل دائماً، ولكنها هي الشخصية المحورية وقد يكون هناك منافس أو خصم لهذه الشخصية"⁽¹⁾.

وتختلف الشخصية الرئيسية عن الثانوية، هذه الأخيرة التي لا تتغير بتغير الظروف المحيطة بها، وفي هذا الصدد يقول "أنريكي أندرسون Enrique Anderso": "توصف الشخصيات بأنها رئيسية عندما تؤدي وظائف مهمة في تطوير الحدث، وبالتالي يطرأ على مزاجيتها تغيير، وكذلك على شخصيتها، أما الشخصيات الثانوية فهي التي لا يطرأ عليها تغيير أو تتغير في إطار الظروف المحيطة، إن الشخصيات الرئيسية هي شخصيات مسيطرة وتظهر بصورة الفرد المهيمن رغم أن سلوكها قد لا يتسم بالسلوك البطولي، وأياً كانت الأحداث والتصرفات الصادرة عنها فإن الباعث ينير معالم الشخصية، أما الثانوية فهي تابعة تسهم في إضفاء اللون المحلي للقصة"⁽²⁾.

وقد حدد "هينكل Henkel" خصائص الشخصية الرئيسية في ثلاث:

مدى تعقيد التشخيص، ومدى الاهتمام الذي تستأثر به بعض الشخصيات، ومدى العمق الشخصي الذي يبدو أن إحدى الشخصيات تجسده"⁽³⁾.

يقصد بمعيار تعقيد التشخيص نمط الشخصيات المعقدة التي ترجع أفعالها وتصرفاتها إلى مجموعة متداخلة ومركبة من الدوافع والانفعالات المتناقضة، مما يجعلها عرضة لتغيرات حاسمة.

ويخص معيار الأهمية بناء الشخصية وطرق تقديمها على المستوى السردى بالشخصيات الرئيسية هي التي تستأثر اهتمام السارد في الجانب الشكلي، فيوليها قدراً من التمايز على بقية الشخصيات.

(1) صبحية عودة زعرب، ، غسان كنفاني، جماليات السرد في الخطاب الروائي، دار مجدلوي للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1426هـ-2006م، ص131-132، نقلاً عن فتحي إبراهيم نصار، معجم المصطلحات الأدبية، التعاضدية العمالية، تونس، د ط، 1986، ص212.
(2) سعد عودة حسن عدوان، الشخصية في أعمال أحمد رفيق عوض الروائية، مرجع سابق، ص 14، نقلاً عن أنريكي أندرسون، القصة القصيرة، النظرية والتقنية، تر علي إبراهيم علي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2000م، ص239-240.
(3) محمد بو عزة، تحليل النص السردى، تقنيات ومفاهيم، مرجع سابق، ص56، نقلاً عن روجرب هينكل، قراءة الرواية، ص233.

أما معيار العمق الشخصي فيقصد به غموض الشخصية مما يجعلها محط اهتمام الشخصيات الأخرى⁽¹⁾

يمكن أن نطلق على الشخصية الرئيسية في الرواية اسم الشخصية المهيمنة على كل الرواية أو أنها الشخصية البارزة والتي يكون لها دور فعال عبر جميع أحداث الرواية، وفي مايلي عرض لأهم الشخصيات الرئيسية الواردة في رواية "الأرض والدم" والتي جاءت على النحو التالي:

1 - عامر:

لقد اهتم مولود فرعون برسم ملامح شخصيات روايته بدقة حتى يبين لنا أهمية دور كل منها في سير أحداث الرواية، ونجده قد اعتمد على الوصف بنوعيه (المادي والمعنوي، في ذلك فنجده قد وصف لنا شخصية عامر أوقاسي المادي حتى يبين لنا مدى ملاءمة عامر لزوجته الفرنسية **"Le mousieur convenait bien à la dame; lui aussi portait beau, quoique son teint ne fut pas très clair, il n'avait ni moustaches, ni coiffure mais les enfants l'identifièrent dès qu'il rencontra des homme, le premier qui vint à lui baisa sa tete et sa main, l'appela Amer-ou-Kaci"**⁽²⁾.

" كان السيد ملائما إلى حد ما لهذه السيدة، إنه وسيم أيضا، لكن سحنته أقل بياضا منها، شاب حاسر الرأس، بدون شوارب، ورغم ذلك تعرّف عليه الأطفال بمجرد أن التقى بالرجال الكبار، أول من تقدم نحوه قبل رأسه ويده وناداه باسمه: عامر أوقاسي"⁽³⁾.

عادة ما تكون ملامح الرجل الشرقي دالة عليه فلطاما امتاز بالشوارب الطويلة وضخامة الجسم وسمرة البشرة، فهو يمتاز عن الرجل الغربي صاحب البشرة البيضاء والعيون الزرقاء، إلا أننا نجد الكاتب هنا قد وصف لنا هيئة عامر وملامحه الغربية ليبين لنا محاولة اندماجه

(1) محمد بو عزة، تحليل النص السردي، تقنيات ومفاهيم، مرجع سابق، ص 56-57.

(2) Mouloude FERAOUN, La Terre et le sang, Editions Talantikit, Béjaia, 2002, P 04.

(3) مولود فرعون، الأرض والدم، تر عبد الرزاق عبيد، دار تلاتنيقيت للنشر والتوزيع، بجاية، دت، ص 4.

في المجتمع الغربي، فعندما يهاجر الرجل الشرقي إلى بلاد غربية يحاول التشبه بأناسها حتى يعتقد نفسه واحدا منهم، إلا أن ملامحه الشرقية تفضحه فتحول دون ذلك.

ويتمتع عامر بأخلاق عالية جعلت منه شابا محبوبا لدى كل نساء قريته " **Il n'était pas de ces gens qui se postent aux carrefours pour voir passer et regarder longuement les filles, de ces gens qui aiment à rester seuls à l'affut, attendant leur gibier. Les «coureurs», on les connaissait, on les détestait, on s'en méfiait. Amer, lui, toutes les jeunes filles lui parlent, lui disent bonjour. Tout le monde le trouve gai et charmant. Son regard n'e pas sournois.** (1).

"إنه ليس من أولئك الذين يتسمرون في مفترقات الطرق للتحديق طويلا في الفتيات المارات، أو من أولئك الذين يحبون البقاء فرادى ينتظرون الطريدة لاصطيادها «زير نساء» ذلك نعرفه. ونحتقره ونرتاب منه، أما عامر فجميع الفتيات يحادثته، ويحيينه، الجميع يجده منشرح النفس لطيفا، ونظرته ليست نظرة مداواة"(2).

فبعدها قدم لنا الروائي وصفا ماديا لشخصية عامر ها هو يصفه وصفا معنويا حتى يبين الصفات الخلقية التي تتمتع بها الشخصية العربية باعتبارها شخصية عربية مسلمة تحكما عادات وتقاليد، كما يحكما كذلك الدين الإسلامي بمختلف تعاليمه.

2 - سليمان:

لكل شخصية بطل في العمل الروائي شخصية منافسة أو شخصية ضد، وقد جسدت شخصية سليمان ذلك فهو العدو أو الضد لعامر، حيث إنه أراد الثأر لموت أخيه وبعدها أراد الانتقام لشرفه من عامر، فصوره الكاتب قبيح الجسم، قوي البنية وذلك للدلالة على حب

(1) Mouloude FERAOUN, La Terre et le sang, p142.

(2) مولود فرعون، الأرض والدم، ص196.

C'est un petit homme trapu, à figure carrée et " الاعتداء وعدم التسامح " osseuse où clignotent de petits yeux rouges sans cils, Une figure antipathique, un air têtue et bête, Toute la tête est agressive mais elle n'effraie pas à surmonter un ensemble si commun, une taille trop petite, des membres noueux et "rabougris: un têtard plutôt qu'un crapaud"(1).

سليمان: "هو رجل قصير ومدكوك، مربع الوجه ناتئة عظامه، تتغامز من وجهه عينان حمروان لا أهداب فوقهما، وجه سمح وكيان عنيد وغبي، رأس يوحى كله بالاعتداء، وكل أعضائه لا تقوى على تشكيل مجموعة منسجمة، قامة قصيرة جدا وأطراف معقدة ضامرة، إنه شرغوف أكثر منه ضفدعا"(2).

وبواصل الكاتب تبيان فظاظة سليمان وحبه للعداء، مما أدى بسكان القرية إلى تجنبه ومحاولة الابتعاد عنه وذلك خوفا من بطشه " Les gens le savait hargneux et méchant, Ils préféraient l'éviter, C'était devenu pour beaucoup une maladresse de discuter avec lui, on le laissait pour ce qu'il était, Avec lui, on avait peur de se commettre, Il ne lui coutait rien de provoquer ou de blesser car il était accoutume aux bagarres, Il n'était pas difficile d'avoir le dessus avec lui, Mais, une fois par terre il continuait à insulter et à narguer, On le comparait souvent à un crapaud, une bête immonde qui salit si "on l'écrase et qui importune si on n'ose y toucher"(3).

(1) Mouloude FERAOUN, La Terre et le sang, p 70.

(2) مولود فرعون، الأرض والدم، ص99.

(3) Mouloude FERAOUN, La Terre et le sang, p 70.

" والواقع أن الكل يعلم أيضا بأنه فظ وشرير، لهذا يفضلون تجنبه، فأضحى من الرعونة لدى عدد كبير من الناس محادثته فتركوه على ما هو عليه خوفا من شبهاته، ومن جهته هو، فلم يكن ليخسر شيئا في إثارة الآخرين، وجرح مشاعرهم لتعوده على العراك، وليس من المستبعد تماما رؤيته منقلبا وحتى عندما يكون أرضا فإنه يتابع الشتم والازدراء وغالبا ما يشبه بالضفدع وهو بهيمة منقّرة، فإذا دهست عليها لطختك"⁽¹⁾.

إن سوء العلاقة التي تربط سليمان بأهل قريته، جعل الكره متبادلا بين الطرفين، حتى وصف سليمان بحقود القلب " **Il n'avait réussi qu'à se faire détester et à** **détester tout le monde, On lui prêtait un mauvais cœur"**⁽²⁾.

" إنه لم ينجح سوى في كراهية الآخرين وجعلهم يكرهونه بدورهم ووصفهم له بأنه ذو قلب حقود"⁽³⁾.

3 - ماري زوجة عامر:

يصور لنا الكاتب ماري زوجة عامر وصفا ماديا دقيقا فيظهرها بمثابة الأميرة الصغيرة التي تسحر بجمالها كل من يراها، فوصف لنا ملامحها التي تبين اختلافها الكبير عن النساء القبائليات سواء من حيث البشرة، أو القامة أو حتى في طريقة لبسها، ليبين الفرق بين طبيعة ظروف العيش لدى النساء القبائليات ولدى النساء الغربيات، وليوضح كذلك اهتمام الغربيات بجمالهن الأخاذ: **" Madame a chaussé des bas clairs et des souliers à talons courts, Dans sa robe de crêpe jaune à fleurettes rouges elle a l'air d'une aimable fée qui vient embellir par sa présence ce paysage rustique, un paysage qui la mérite bien pourtant, Elle est svelte, presque de la taille d'amer, Ses cheveux blonds, soyeux et bien peignés retombent sur sa**

(1) مولود فرعون، الأرض والدم، ص98.

(2) Mouloude FERAOUN, La Terre et le sang, p 115.

(3) مولود فرعون، الأرض والدم، ص157.

nuque pleine, Ses yeux bleus font songer au mouroon et ses lèvres bien rouges au coquelicot, Son visage est plein de grâce et de hardiesse, Il est plutôt large gue rond, un front uni, un nez court mais bien planté, des sourcils fournis, régulièrement arqués, Avec le bas du visage, nettement dessiné et un peu fort elle donne l'impression d'être volontaire et suffisamment armée pour la vie" (1).

" ارتدت السيدة جوارب فاتحة، وحذاء بعقب منخفض وجبة من قماش الكريب الأصفر الذي تزينه أزهار حمراء فأضحت تبدو كالساحرة اللطيفة التي جاءت لتحلي بحضورها هذه المناظر الطبيعية الريفية، مناظر هي أهل لها قلبا وقالبا، لقد كانت رشيقة في قامة عامر تقريبا، ذات شعر أشقر حريري، مسرح بدقة على القفى الممتلىء ، عيناها الزرقوان زهر اللبين، وشفاتها الحمروان خشخاش منثور ، ووجهها يمتلىء سحرا وجرأة، وجه واسع أكثر منه مستديرا: جبهة مستوية، وأنف قصير جميل الانتصاب، وحواجب مستفيضة مقوسة بإحكام، أما ما تحت وجهها فمرسوم بوضوح، وقوي شيئا ما، إنها توحى بالاستعداد والتسلح التام لمواجهة الحياة" (2).

فجمال ماري الأخاذ وبساطة لباسها جعلها فتاة ساحرة مفعمة بالحياة.

4 - شابحة:

تمثل شابحة الفتاة القبائلية الشرقية الملامح، وقد مثلت شخصيتها في الرواية الشخصية الند لماري لذلك أبرز الكاتب جمالها حتى لا تقل جاذبية عن ماري كيف لا وهي الفتاة المنافسة لها، كانت شابحة هي الأخرى تمتاز بجمال طبيعي جعلها محبوبة عند الجميع وكأنها فتاة صغيرة " A vingt-huit ans elle a encore son allure de jeune

(1) Mouloude FERAOUN, La Terre et le sang, p 38.

(2) مولود فرعون، الأرض والدم، ص 51.

fille bien plantée, admirablement proportionnée, avec un teint mat et satiné, un corps souple et chaud, un visage éveillé, qu'animent de grand yeux noirs, une bouche expressive aux lèvres fraîches qui sourient tout le temps ou qui savent faire la moue avec la grâce exquise d'un enfant qu'on contrarie"⁽¹⁾.

" هي الآن في سن الثامنة والعشرين ومع ذلك لا تزال في هيئة الفتاة الصغيرة، مكتنزة معتدلة القوام شهيته، سحتها كامدة وناعمة، وجسدها لين وحر، ووجهها يقظ تزينه عينان سوداوان واسعتان، وفاهها تزينه شفتان طريتان لا تفارقهما الابتسامة، وتعرف كيف تسعر خدها ببراعة كبراءة الطفل المتضايق"⁽²⁾.

فماري ليست وحدها صاحبة الجمال الساحر بل حتى الفتيات القبائليات لديهن من السحر ما يضاهي سحر الغربيات، فبرزت شخصية شابة ببراعة كبراءة الأطفال.

ثانيا - الشخصية الثانوية:

وهي الشخصية المساعدة للشخصية الرئيسية، إذ إنها تضيء الجوانب الخفية للشخصية الرئيسية، وتكون بذلك " إما عوامل كشف عن الشخصية المركزية وتعديل لسلوكها، وإما تبع لها، تدور في فلكها وتتنطق باسمها، فوق أنها تلقي الضوء عليها وتكشف عن أبعادها"⁽³⁾.

وهناك من يعتبر الشخصية الثانوية مساندة للشخصية الرئيسية، لأن المساندة تعبير أقوى، أي أن الشخصية الثانوية لا تقل أهمية عن الشخصية الرئيسية، حيث إنها تعطي للعمل الروائي حيوية مما يساعده في إيصال رسالته، إذ يقول باسم عبد الحميد: " إن الشخصية الثانوية هي الشخصية المساندة التي تعطي للعمل الروائي حيويته ونكهته وقدرته على إيصال

(1) Mouloude FERAOUN, La Terre et le sang, p110.

(2) مولود فرعون، الأرض والدم، ص148.

(3) صبحية عودة زعرب، غسان كنفاني، جماليات السرد في الخطاب الروائي، مرجع سابق، ص132، نقلا عن إبراهيم السعافين، تطور الرواية العربية في بلاد الشام، دار المناهل، بيروت، ط2، 1987م، ص463.

رسالته، وإن تجذير الصورة الدرامية داخل العمل الروائي لا يتم إلا من خلال تحريك الشخصيات الثانوية التي تعطي للصراع ذروته ومعناه، ومن هنا فالشخصية الثانوية ليست حالة أو مادة عابرة أو مفروضة على مسرح الحدث، وأستطيع الادعاء تبعا لذلك وبغير كثير من التشكيك أن الشخصية الثانوية بطلّة أيضا إنما بمستواها⁽¹⁾.

فالشخصية الثانوية أو المساندة لها أهمية كبيرة في الخطاب السردي، لذلك لا ينبغي التقليل من شأنها، ذلك أن لها دورا فعّالا في إبراز الشخصيات الرئيسية. ومن الشخصيات الثانوية في رواية الأرض والدم، والتي كان لها دور بارز في تصعيد

الحدث الروائي نذكر:

1- رابح أوحميش:

Le personnage principal de la bande était Rabah-ou- " Hamouche qui avait déjà dix années d'exil et ne songeait guère a s'en revenir, Rabah était dans la force de l'âge, C'était un colosse velu, à figure large avec des yeux sombres, des cheveux noirs et une moustache toujours bien taillée, Il en imposait à tous par sa grosse voix, sa mine débonnaire et puissant, sa mise soignée"⁽²⁾.

"والشخصية الأساسية في الطغمة المقيمة هي رابح أوحميش الذي كان قد قضى عشر سنوات في المنفى، ولا يفكر إطلاقا في العودة، وهو في ريعان الشباب " ضخم أشعر، ذو وجه عريض وعينان داكنتان، وشعر أسود وشوارب مقلّمة باستمرار، استطاع فرض نفسه على الجميع بصوته الجوهري، وسحنته المتسامحة القوية، ولباسه المتناسق"⁽³⁾.

(1) سعد عودة حسن عدوان، الشخصية في أعمال أحمد رفيق عوض الروائية، مرجع سابق، ص15، نقلا عن باسم عبد الحميد حمودي، مدخل إلى الشخصية الثانوية في الرواية العراقية، الأفلام، 64، 1988م، ص42.

(2) Mouloude FERAOUN, La Terre et le sang, p46.

(3) مولود فرعون، الأرض والدم، ص64.

تمثل شخصية رابح في الرواية الشخصية القوية ذات الملامح الشرقية، فهو الذي وجد العمل لرفاقه من أهل قريته وكان يعنى بكل ما يهمهم، فدوره في الرواية دور لا يقل أهمية عن دور شخصية عامر، فقد ساهمت شخصيته في تصاعد أحداث الرواية.

2- كمومة:

كمومة واحدة من الشخصيات الثانوية التي ساعدت في سير الأحداث وتساعدنا، فهي **Elle est noire et impressionnante. Toujours aussi sèche et grande mais voutée et fragile comme un roseau féfé. Des flocons de cheveux laineux apparaissent sous son foulard craquelé, ses grands yeux noirs sont brouillés, son regard est vague, ses paupières rouges et dénudées**(1).

"إنها سمراء مشربة بحمرة، مدهشة، عجفاء، طويلة، ولكنها منحنية الظهر وهشة مثل قسبة جوفاء، ظهرت من تحت منديلها الممزق خصلات شعرها الصوفي، وعيناها السوداوان الكبيرتان المرتجتان، وبصرها الغامض، وجفناها الحمران العاريان"(2).
فشخصية كمومة هي مثال عن المرأة القبائلية بلباسها ومظهرها الخارجي، وبياض شعرها ونقص بصرها دليل على فقرها ومعاناتها في حياتها.

وقد قامت "كمومة" والدة عامر و"سمينة" والدة شابحة بالاتفاق معا من أجل توطيد العلاقة بين عامر وشابحة لعل هذه الأخيرة تحمل من عامر وتتجب ولدا لزوجها سليمان، فقد اتفقت العجوزتان على حيلة تجمعان بها عامر وشابحة فكان المكان بيت شابحة الزوجي بعدما سافر زوجها، فقال عامر لشابحة " **écoute, Chabha, il faut que je te dise: c'est ma mère qui m'envoie. Elle m'a engagé à venir. Elle a vu ta**

(1) Mouloude FERAOUN, La Terre et le sang, p5.

(2) مولود فرعون، الأرض والدم، ص7.

mère. Elle l'a avertie. C'était décidé entre elles: je devais venir. Ta mère savait n'est-ce pas que tu étais seule. Qu'attend-elle pour te rejoindre?

Kamouma, ma mère! Oh! Les vieilles. Elles tiennent du démon."(1)

" اسمعيني يا شابحة، يجب أن أقول لك. إن والدتي هي التي أرسلتني وألزمتني بالمجيء. وقد قابلت والدتك، وحذرتها، واتفقت الاثنتان فيما بينهما: وكان يجب أن آتي، والدتك كانت تعلم بأنك وحيدة، أليس كذلك؟ فماذا تنتظر لكي تلتحق بك؟ آه، كمومة، والدتي! أغواهما الشيطان فعلا"(2).

فقد تمكن الجهل من العجوزتين حتى ظهرتا بمظهر الشخص غير المؤمن بقضاء الله وقدره، مما جعلهما تسلكان طريق الشيطان في حل مشكل إنجاب شابحة، وبفعلتهما هذه زادت في تصاعد أحداث الرواية أكثر فأكثر.

3-سمينة:

سمينة هي والدة شابحة وهي الأخرى عجوز أتعبتها الحياة، وأثقلت كاهلها حتى أصبحت لا تستطيع الحركة لضخامة جسمها " Elle était trop lourde et rivée à son oreiller. Ses grosses cuisses s'appuyaient sur le sol tiède, de chaque coté du foyer. Ses joues retombaient comme d'habitude. Ses réflexions semblaient fuir pour se réfugier dans son ventre que la douce chaleur caressait. Le sommeil finissait par la gagner."(3)

(1) Mouloude FERAOUN, La Terre et le sang, p147.

(2) مولود فرعون، الأرض والدم، ص244.

(3) Mouloude FERAOUN, La Terre et le sang, p164.

" لقد كانت ثخينة جدا، مسمرة على مخدتها، فذاها الضخمين يرتكزان على الأرض الدافئة في كل جهة من جهتي الموقد، ووجنتها متساقطتان كالعادة، وأفكارها كأنها تفر منها وتلجأ إلى بطنها الذي كانت الحرارة الرقيقة تداعبه، وتنتهي بأن يتغلب عليها النوم"⁽¹⁾.

وتتمتع "سمينة" بشخصية مزدوجة إذ إن حالها تتغير في الليل فتصبح امرأة أخرى " Depuis quelque temps, elle se dédouble, pour ainsi dire. Il y a la grosse Smina bonasse, naïve et malicieuse à la fois, dont la candeur et l'aménité ont conquis l'estime apparente de toutes les femmes parce que toutes, au fond, la savent pleine de finesse et d'astuce. Et il y a une Smina nocturne: celle qui rêve **et qui ronfle. Pendant la nuit.**"⁽³⁾.

"يمكن القول بأن سمينة أصبحت ذات شخصية مزدوجة منذ بعض الوقت، من جهة هناك سمينة الساذجة، السليمة الطويلة، وسمينة الماكرة في الوقت نفسه، إنها تمتلئ رقة ودهاء. من جهة هناك سلامة النية ودمائة الخلق، والصدقة التي حازت بها على إعجاب جميع النساء، ومن جهة أخرى هناك سمينة الليلية التي تحلم وتشخر"⁽⁴⁾.

فقد ازدوجت شخصية سمينة بعدما فقدت الأمل في حمل ابنتها شابحة ما جعلها تخمن في طريقة لحل المشكلة، فأصبحت تحلم وترى كوابيس أثناء نومها تعتقد بأنها ستتحقق في الواقع.

لقد تعددت الشخصيات في رواية الأرض والدم بين الرئيسية والثانوية، مما جعلها معا تساعد في تطور الأحداث في الرواية، فلكل شخصية دور في تصعيد الأحداث.

(1) مولود فرعون، الأرض والدم، ص229.

(3) Mouloude FERAOUN, La Terre et le sang, p166.

(4) مولود فرعون، الأرض والدم، ص233.

III-اعتراب الشخصية الروائية:

لما كانت الشخصية هي المحرك الديناميكي للعمل الروائي، إذ لا يمكن له أن يكتمل دون وجودها، اعتبرت من أهم العناصر الفنية في العمل الروائي، لكن هاته الشخصية وبمجرد معاشتها للظروف النفسية والاجتماعية والثقافية، قد تحس أحيانا بعدم فاعليتها وعدم قدرتها على تغيير الأمور، فتشعر حينها بالاعتراب عن واقعها المرير، وفيما يلي رصد لأهم أنواع الاعتراب وتجلياته في الرواية "الأرض والدم":

أولاً-اعتراب اجتماعي:

قد يلجأ الفرد المغترب اجتماعياً إلى الخروج على نوااميس السائد الاجتماعي من خلال مناهضة تلك النوااميس أو مغادرتها ومحاولة إسقاطها خضوعاً لرؤيتين: إحداها سلبية والأخرى ثورية إيجابية هدفها تغيير القانون الاجتماعي⁽¹⁾.

فالغريب هنا هو من يجتنب المجتمع وما يشيع فيه من معتقدات، ويفصل عن العامة والناس، باعتبار أنهم من عوامل ضياع ذاته الأصلية⁽²⁾.

كما أن مجمل العلاقات بين الإنسان والآخرين تتشكل من خلال مجموعة من القيم النابعة من سوية النفس البشرية وسلامة توجهها الفعلي وانطلاقتها من خضم الحياة، ضمن معطيات وظروف طبيعية إلا أن حدوث أي خلل في ارتباط الشخص بأي قيمة إيجابية يخلق هنالك نوعاً من الانفصال بين هذا الشخص وما طبع عليه أصلاً من جهة، وانفصاله عن الآخرين من جهة أخرى: " فالاعتراب يقع داخل الشخصية الفردية، وذلك على الرغم من أن عوامل اجتماعية يمكن أن تسببه"⁽³⁾.

وكذلك يتمثل الاعتراب الاجتماعي في شعور الفرد بعدم التفاعل بين ذاته وذوات الآخرين، والبرود الاجتماعي؛ أي ضعف الروابط مع الآخرين وقلة أو ضعف الإحساس

(1) مريم جبر فريجات، الحس الاعترابي في أعمال روائية لغسان كنفاني، مجلة جامعة دمشق، مج 26، ع 3-4، 2010م، ص 303.

(2) المرجع نفسه، ن ص.

(3) المرجع نفسه، ن ص.

بالمودة والألفة الاجتماعية معهم، وينتج ذلك عن الرفض الاجتماعي الذي يعيش في ظله الإنسان في افتقاد دائم للدفء العاطفي⁽¹⁾.

وهو اغتراب عن المجتمع، ومغايرة معايير، والشعور بالعزلة والهامشية الاجتماعية والمعرضة والرفض، والعجز عن ممارسة السلوك الاجتماعي العادي⁽²⁾.

وقد تعددت أوجه الاعتراب الاجتماعي في رواية الأرض والدم، إذ يمكن ذكرها كالتالي:

1-الفقر:

ويتجلى الاعتراب الاجتماعي عند أم عامر "كمومة" فبعدما رحل عامر إلى فرنسا ونسيها، توفى زوجها هو الآخر، فأضحت وحيدة فكانت تحس بالاعتراب بين جيرانها لشدة فقرها حيث إنها لم تجد ما تأكله **"Une vieille connaissance"** ⁽³⁾ .

"حتى أضحى الجوع إليها من الأصدقاء القدامى"⁽⁴⁾.

وتزداد آلام جوعها عندما تأتي أيام المواسم والأعياد " **Les jours les plus douloureux sont ceux des fêtes religieuses, On a beau faire alors, le corps ne résiste plus, a des envies, des odeurs vous enveloppent, on est si triste de ne rien avoir, Il est vrai que des âmes charitables songent un peu aux malheureux, On finit tout de même par gouter un peu de tout ce qui se mange aux alentours, Mais ces jours-là, impossible de ne pas faire figure de pauvre et de ne pas se sentir pitoyable"**⁽¹⁾.

" إن أكثر الأيام إيلاما هي أيام المواسم الدينية، نحاول جهد استطاعتنا مكابرتها، ولكن أجسادنا لا تستطيع مقاومتها، فتستيقظ جميع الرغبات بسبب الروائح المتسربة من البيوت

(1) قيس النوري، الاعتراب ، مرجع سابق، ص33.

(2) زليخة جديدي، الاعتراب، مرجع سابق، ص349.

(3) Mouloude FERAOUN, La Terre et le sang, p22.

(4) مولود فرعون الأرض والدم، ص30.

(1) Mouloude FERAOUN, La Terre et le sang, p22.

القريبة، ويبلغ الحزن مداه، صحيح أن هناك دائما رحماء يفكرون قليلا في المعوزين، وينتهي الأمر بالفقير إلى تذوق القليل من كل الأطباق المحضرة حوله، ولكن خلال هذه الأيام لا مناص من التهرب من حالة الفقير والإحساس بالوضاعة"⁽²⁾.

وتزداد حدة الإحساس بالاعتراب عند كمومة حينما تخفي عنها جاراتها ما يحضره من
 Un matin d'hiver glacial, elle ne put tenir; elle entra **chez ses voisins et demanda quelques braises pour allumer son foyer, C'était un prétexte, Ses yeux larmoyants et sans cils virent la maitresse de maison jeter un foulard sur le grand plat plein beignets, Puis la femme se leva précipitamment pour venir au-devant de kamouma, Le ton gêné dont elle rendit le bonjour ainsi que l'odeur d'huile chaude qui prenait à la gorge dévoilaient clairement ce que le foulard cachait, La vieille, honteuse, battit en retraite, Elle revint grelotter"**⁽³⁾

" في صباح شتوي بارد، نفذ صبرها؛ فدخلت إلى جيرانها، وطلبت بعض الجمرات لإشعال موقدها، وهي ذريعة واضحة، ورأت بأمر عينيها الدامعتين العديمتي الأهداب صاحبة البيت ترمي منديلا فوق الجفنة المملوءة بالفطائر، ثم قامت المرأة مسرعة لتعرض كمومة، إن النبرة المتضايقة التي ردت بها التحية، وكذا رائحة الزيت الساخن الذي يدغدغ الحلق يكشفان بوضوح ما يخفيه المنديل، عادت العجوز القهقري في خجل قاتل، عادت إلى بيتها ترتعش"⁽¹⁾.

(2) مولود فرعون، الأرض والدم، ص30.

(3) Mouloude FERAOUN, La Terre et le sang, p23.

(4) مولود فرعون، الأرض والدم، ص31.

والفقر هو الذي دفع بعامر إلى التخلي عن الدراسة في سن مبكرة والاتجاه إلى الحياة العملية الشاقة رغم صغر سنه، ولما لم تقده أعمال القبائل في إعانة والديه على مصاعب الحياة قرر السفر للالتحاق بالمصنع لجني مال أكثر " **Il était jeune et robuste, avait fréquenté l'école, ne flânait pas à l'ouvrage. Il pouvait abandonner ses travaux kabyles, apprentissage ingrat, et aller gagner gros a l'usine.**"⁽²⁾

" كان وقتها شابا يافعا، قضى بضع سنوات في المدرسة، ويعرف بتفانيه في العمل، ويستطيع أن يتخلى عن أعمال القبائل غير المجدية ويلتحق بالمصنع ليربح الكثير"⁽³⁾.

2- استحالة الاندماج:

لقد ذهب عامر إلى فرنسا بغية العمل وتحسين ظروف عيشه، إلا أنه وبمجرد وصوله هناك وبسبب الظروف التي عاشها في فرنسا، لم يستطع الاندماج في ذلك المجتمع الغريب عنه دينيا وثقافيا و كذلك اختلافه من حيث العادات والتقاليد، فنجده يقول لزوجته وهو يتحدث عن الغربة " **A Paris, j'avais besoin de me sentir avais que aimé, Et je n'y avais que toi, je sais ce que c'est que d'être étranger, c'est un état pitoyable pour l'homme**"⁽⁴⁾.

"في باريس كنت أرغب في أن أحس بأنني محبوب، ولم يكن لدي غيرك، أعلم ما معنى أن تكون غريبا، إنها حالة تدعو للرتاء بالنسبة للرجل"⁽¹⁾.

وماري هي الأخرى قد أحست بعدم الاندماج في الوسط القبائلي وخاصة مع النساء القبائليات، فاقترح عامر عليها أن تذهب معه إلى المقهى " **Il lui proposa de l'emmenner au café pour la distraire un peu, Elle l'y suivit, s'y**

(2) Mouloude FERAOUN, La Terre et le sang, p12.

(3) مولود فرعون، الأرض والدم، ص15-16.

(4) Mouloude FERAOUN, La Terre et le sang, p40.

(1) مولود فرعون، الأرض والدم، ص54.

trouva seule avec des hommes et s'ennuya, Elle alla au marché et excita la curiosité, Elle remarqua aussi que les hommes étaient toujours gênés devant elle, ne lui parlant guère, n'osant pas la regarder, préférant s'adresser à Amer même lorsque la question la concernait"⁽²⁾.

" اقترح عليها أن يصطحبها معه إلى المقهى لتروح عن نفسها قليلا، تبعته فوجدت نفسها وحيدة بين الرجال، وزادها ذلك سأمًا على سأم، وذهبت إلى السوق فوجدت نفسها محل فضول الجميع، ولاحظت أيضا بأن الرجال دائما في حرج أمامها، لا يكلمونها، ولا يجروون على النظر إليها، ويفضلون التوجه بالكلام إلى عامر عندما يتعلق الأمر بها"⁽³⁾.

وعلى الرغم من ذلك فإن شعورها بعدم الاندماج لم يقل، بل زاد أكثر فأكثر، خاصة عندما ذهبت لزيارة المتصرف " Elle alla même en ville, au siège de la commune mixte Une visite à monsieur l'administrateur, Un geste stupide (Amer avait des illusions), Elle en revint écoeurée, Elle eut un moment l'impression de se retrouver dans cette société hostile qui ne voulait plus d'elle, Elle se promena à travers les rues, entra dans des magasins, au café, au restaurant, Elle ne se trouva nulle part à l'aise, ni avec les français ni avec les kabyles"⁽¹⁾.

" بل وذهبت إلى المدينة حيث مقر البلدية المختلطة، فأدت زيارة مجاملة للمتصرف، حركة بلهاء (كان عامر واهما) وعادت منها مشمئزة، ولفترات عديدة تخيلت نفسها أنها في مجتمع معاد لها لا يريد لها بين ظهرانیه، تتجول عبر الطرقات وتدخل المغازات،

(2) Mouloude FERAOUN, La Terre et le sang, p81..

(3) مولود فرعون، الأرض والدم، ص112.

(1) Mouloude FERAOUN, La Terre et le sang, p81..

والمقهى، والمطعم، فلم تجد نفسها مستريحة في أي منها، لا مع الفرنسيين ولا مع القبائل" (2)

3- البعد عن الأهل والأقارب:

أو ما يعرف بالاعتراب المكاني، وقد أولى الدارسون المكان الروائي عناية كبيرة وصنفوه مستويات وفق أثره ومقدار سطوته على نفسية الشخصية الروائية، فثمة مكان مجازي افتراضي، ومكان هندسي محدد وخارجي، ومكان التجربة المعيشة الذي قد ينتقل ليحيا في الذاكرة، حين يبتعد عنه الكاتب، ثم المكان المعادي الذي: " يتخذ صفة المجتمع الأبوي بهرمية السلطة في داخله، وعزفه الموجه لكل من يخالف التعليمات، وتعسفه الذي يبدو وكأنه ذو طابع قديري" (3).

وعلى الرغم من أن الإنسان العربي كثير التعلق بوطنه يدفعه الحب والحنين إليه، ويجزع الرحيل، إذ كان لهذا الشعور العمق الكبير في ارتباط الإنسان بالمكان لأن " ارتباط الإنسان بالأرض أوثق ما يكون في تعلقه بوطنه وهو مقيم في حماه، وفي حنينه إليه وهو ناء عنه" (1).

وقد تبرز حقيقة هذا الشعور حين يعيش الإنسان حقيقة تجربة الاعتراب المكاني، وحين تصطدم أحلامه ورؤاه بعوائق موضوعية أو ذاتية، تتولد بداخله هواجس الغربة والحيرة، فيمسي المكان "حائلا أكيدا دون تلقائية الإنسان ويغدو المكان حداً من حدود القهر الكبرى" (2).

فقد عانى عامر من الاعتراب المكاني حينما هجر القرية " **Voilà quinze ans qu'il est parti, Mon Dieu, oui comme tous les autres, C'était un matin de printemps, au mois de mars, peut- être, Il quitta kamouma et**

(2) مولود فرعون، الأرض والدم، ص113.

(3) د. مريم جبر فريجات، الحس الاعتراقي في أعمال روائية لغسان كنفاني، مرجع سابق، ص314.

(4) أحمد علي الفلاحي، الاعتراب في الشعر العربي، في القرن 7هـ، دراسة اجتماعية نفسية، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1434هـ-

2013م، ص86.

(2) المرجع نفسه، ن ص.

kaci les larme aux yeux car les paroles qui l'accompagnaient
 (3)étaient touchantes, toutes de tendresse, d'espoir"

" لقد هجر القرية منذ خمس عشرة سنة، يا إلهي ! كان ذلك ذات صباح ربيعي، ربما
 في شهر مارس، وكالآخرين، غادر كمومة وقاسي بعينين تطفحان بالدموع لأن العبارات
 التي رافقته كانت مؤثرة، وكلها مودة وأمل بالنجاح"⁽⁴⁾.

وقد عانت الفرنسية من الاعتراب المكاني في بيت زوجها بإغيل نزمان لضيقه الشديد
 وقدمه " La plupart des visiteuses venaient avec leurs petits cadeaux On reçut dans la semaine plus d'une centaine d'œufs
 Madame ne savait qu'en faire ni ou les mettre, C'est vrai que le logis est petit, Il a fallu remiser la malle dans la soupenette déjà
 pleine de jarres, L'étagère qui court le long du mur, terne, noircie, poussiéreuse, reçoit une douzaine d'assiettes, un
 faitout, un réchaud et toute la vaisselle de l'ancien ménage parisien"⁽¹⁾.

" أغلب الزائرات كن يأتين بهدايا صغيرة... لم تجد مادام ما تصنع بها ولا أين تضعها،
 صحيح أن المسكن ضيق، فكان يجب وضع صندوق الملابس في السندرة التي كانت
 ممتلئة بالجرار، والرف الذي كان على طول الجدار الباهت والأسود المغبر، وضعت عليه
 دزينة من الصحون، والقدر والموقد، وكل أواني عش الزوجية القديم بباريس"⁽²⁾.

وقد عانى عامر من الغربة المكانية وهو في فرنسا:

(3) Mouloude FERAOUN, La Terre et le sang, p13..

(4) مولود فرعون، الأرض والدم، ص15.

(1) Mouloude FERAOUN, La Terre et le sang, p31.

(2) مولود فرعون، الأرض والدم، ص40.

Dés son arrivée à la gar de lyon, après une nuit blanche " dans le train, il constata que ses compagnons ne l'abandonnaient pas, Mais il se voyait perdu dans une inimaginable cohue, dans un enfer de rumeurs, de bruits, perdu dans la foule grouillante de tout un peuple qui s'éveillait, Il eut beaucoup de mal à ne pas s'égarer et à suivre les autres, Finalement, un de ses compagnons le prit par la main et tous les quatre avancèrent ensemble⁽³⁾.

"بمجرد وصوله إلى محطة القطار بليون... لاحظ أن مرافقيه لم يتخلوا عنه، ووجد نفسه تائها في حشود لا يمكن تخليها: أتون من الضوضاء والجلبة، ضاع في الجماهير الزاخرة لمجتمع قد استيقض بأكمله، فعانى عناء كبيرا خوفا من فقدان، ومن متابعة الآخرين"⁽¹⁾

وكان عامر يتذكر والديه ويحن إلى وطنه وعيشته البسيطة " - Il revoyait ce jour là...Il revoyait aussi les champs qu'il connaissait si bien, et des visages: des jeunes, des vieux; puis ceux qui se trouvaient là, avec lui: Si belkacem et Mohamed-Saïd⁽²⁾.

"...يفكر في وطنه، وفي ذلك اليوم... كان يتذكر الحقول التي يعرفها جيدا، ووجوه الشباب والشيوخ، وأولئك الذين كانوا معه : أمثال سي بلقاسم ومحمد السعيد..."⁽³⁾. وإن كان الشوق والحنين إلى الوطن وساكنيه من أسباب الاعتراب المكاني، إلا أن الإحساس بالاعتراب المكاني خارج الوطن لا ينتهي عند الحنين إليه والحلم بالرجوع، وإنما

⁽³⁾ Mouloude FERAOUN, La Terre et le sang, p44.

⁽¹⁾ مولود فرعون، الأرض والدم، ص61.

⁽²⁾ Mouloude FERAOUN, La Terre et le sang, p52-53.

⁽³⁾ مولود فرعون، الأرض والدم، ص72.

يرافقه صراع حاد داخل النفس الإنسانية، قد ينتهي بها إلى أي مظهر من مظاهر الاعتراب الروحي أو النفسي.

هذا الأخير يعرف بأنه سياق يتعلق بما يحدث للفرد من اضطرابات نفسية وعقلية، وما يستشعره من غربة في العالم وفتور أو جفاء في علاقته بالآخرين، فالانفصال عن الذات والواقع، وشعور الإنسان باختلافه عن الآخرين وافتقاد الإحساس بالعلاقة بينهما، ومن ثم انعدام الشعور بالقدرة على تغيير الواقع أو افتقاد القدرة على اكتشاف القيمة في الحياة، كل ذلك قد يخلف حالة من اغتراب الذات عن الخارج، وهذا اللون من الاعتراب ليس إلا درجة متأخرة من سلم الحالات الاغترابية التي قد تصيب الإنسان، إذ إنه غالباً ما يكون نتيجة طبيعية للغربة المادية-المكانية- وما يترتب عليها من إحساس بالفقد والضياع، أو عن عدم تلاؤم بين الداخلي-النفسي- والخارجي الواقع بمناحيه كافة، حتى ليغدو الإنسان كما قال التوحيدي: "إن حضر كان غائباً وإن غاب كان حاضراً"

فمصطلح الاعتراب هنا يحمل دلالة على أحوال نفسية وعقلية تتفاوت قوة وضعفاً، فقد يعني مجرد السرحان والشروذ الذهني الناتج عن اهتمام الإنسان بأمور معينة، تبعده عن ذاته، وبتيئه بها عن نفسه، كما قد يعني فقدان الحس أو غياب الوعي، كما يحدث في حالات الصرع وشرب الخمر والجنون والخرف والخبل⁽¹⁾.

وقد اختلف الباحثون في إعطاء تعريف للاغتراب النفسي كل حسب وجهة نظره فمنهم من يرى بأنه: " حالة نفسية يشعر الإنسان من خلالها بانفصاله عن الآخرين وعدم الانسجام معهم، وعدم القدرة على التكيف الاجتماعي مما يضطره إلى الانعزال"⁽²⁾.

ويرى "وايت" أن الاعتراب النفسي هو: " اغتراب عن الذات أيضاً حيث يرتبط ارتباطاً موجبا بالاغتراب عن المجتمع " ، ومنهم من يذهب إلى أن الاعتراب غربة عن الذات"⁽³⁾ .

(1) زليخة جديدي، الاعتراب، مرجع سابق، ص307.

(2) قيس النوري، الاعتراب، مرجع سابق، ص18.

(3) محمد عباس يوسف، الاعتراب والإبداع الفني، مرجع سابق، ص38.

ويرى "إيريكسون" أن الاعتراب النفسي هو عدم الشعور بتحقيق الهوية وما ينتج عن ذلك من أعراض : " فالفرد الذي لم تحدد هويته بعد يعتبر مغترباً لأنه يفقد الإحساس بالأمن الناتج عن عدم تحديد الهدف المركزي لحياته "(1).

أما محمد عبد اللطيف خليفة فيرى أن الاعتراب النفسي: " مفهوم عام وشامل إذ يشير إلى الحالات التي تتعرض فيها الشخصية للانحطاط أو للضعف والانهيار وبتأثير العمليات الثقافية والاجتماعية التي تتم داخل المجتمع"(2).

فيصعب علينا تخصيص نوع مستقل نطلق عليه الاعتراب النفسي، وذلك نظراً لتداخل الجانب النفسي للاعتراب وارتباطه بجميع أبعاد الاعتراب الأخرى: الثقافي والاقتصادي والسياسي....الخ.

لقد شعر عامر أوقاسي بالاعتراب النفسي حينما أحس وتيقن أن أهل قريته يكونون له الكره والغيرة " **Amer-ou-kaci retrouve subitement la certitude qu'on est jaloux de lui, que telle famille ne peut lui vouloir du bien et telle autre qui est proche pourtant, n'est pas néanmoins sans envie; (3)il se rappelle la duplicité historique de certaine karouba"**

" فجأة يكتشف عامر أوقاسي وباليقين الذي لا يرقى إليه أدنى شك بأن أهل القرية يغارون منه، وبأن تلك العائلة لا تريد له خيراً، وأن عائلة أخرى من المقربين لا يخلو أفرادها من الغيرة والحسد، ويتذكر النفاق التاريخي لبعض القروبات"(4).

وها هو عامر يلوم نفسه على كل ما حدث " **Pourquoi a-t-il oublié son village? Pourquoi n'a-t-il pas songé à ses champs, sa maison, sa famille? Il a oublié amis et ennemis; il a disparu même des**

(1) زليخة جديدي، الاعتراب، مرجع سابق، 351.

(2) عبد اللطيف محمد خليفة، دراسات في سيكولوجية الاعتراب، مرجع سابق، ص81.

(3) Mouloude FERAOUN, La Terre et le sang, p11.

(4) مولود فرعون، الأرض والدم، مرجع سابق، ص15.

mémoires; son père fut enterré par d'autre; sa mère a cessé de l'attendre, Il a toutes ces choses à se reprocher! Mais il est simple de se racheter, il suffit d'être là et de voir (on se remet à s'intéresser, à goûter la vie des siens) En somme, c'est
(1) reprendre pied dans la réalité .

" لماذا نسي قريته؟ لماذا لم يفكر في قوله، وفي بيته، وفي عائلته؟ نسي الأحباء والأعداء، وكاد يخرج من الذاكرة الجماعية، وقام الآخرون بدفن أبيه، ويئست أمه من انتظاره، يلوم نفسه على كل هذه الأشياء، لكن من السهولة أن يكفر عن ذنوبه تجاه أهل القرية، وذلك بأن يتواجد هنا ويرى ما يمكن فعله (ويجدد اهتمامه بحياة ذويه) إجمالاً، عليه أن ينغمس في الواقع من جديد"(2).

ولقد شعرت كمومة بالاعتراب النفسي بعدما أضحت وحيدة بعد حياة تعيسة عاشتها في ظروف صعبة " Kamouma est une pauvre vieille, chargée d'années et d'expérience. Elle ne sait plus ou elle en est de sa vie. Mariée toute jeune à kaci, elle a d'abord vécu sous l'autorité d'un rude beau-père et d'une belle-mère tyrannique. Elle a eu des belles-sœurs, filles de sa belle-mère, femmes de ses beaux-frères. La famille était nombreuse, la vie très difficile. Elle a appris à supporter et à peiner. Elle a connu l'injustice et la méchanceté; le plus souvent comme victime mais capable de rendre œil pour œil, tout comme une autre, à l'occasion. Elle a eu des enfants, filles ou garçons. Elle a connu la souffrance des enfantements

(1) Mouloude FERAOUN, La Terre et le sang, p11.

(2) مولود فرعون الأرض والدم، ص14.

sans soins, les nuits de veille et de maladie, les années de privations ou de deuil. Elle a vu s'éparpiller dans le village et enfin dans le cimetière tout cette famille; ses enfants ont rejoint ses parents dans la tombe et, un beau jour, elle s'est trouvée seule"⁽¹⁾.

" إن كمومة عجوز فقيرة، مثقلة بالسنوات والتجارب، لا تعرف بالتحديد أين وصلت مع الحياة، تزوجت قاسي في سن مبكر، وعاشت أولاً تحت سيطرة والد زوجها القاسي وأمه الطاغية، عاشت وسط نساء كثيرات: أخوات زوجها، وزوجات إخوته، كانت العائلة كثيرة العدد، والحياة صعبة، تعلمت التحمل والشقاء، وعرفت الظلم والأذى، في أغلب الأحيان، كانت هي الضحية، ولكنها كانت قادرة أيضاً على المواجهة عند الضرورة، العين بالعين، مثل الأخريات تماماً، أنجبت أطفالاً ذكورا وإناثاً، وعرفت الولادات المؤلمة بلا عناية، وليالي السهر والمرض، وسنوات الحرمان والحزن، ورأت كل هذه العائلة تتشتت في القرية ثم في المقبرة، التحق أولادها بأهلها في المقبرة، وفي يوم ما وجدت نفسها وحيدة"⁽²⁾.

وقد شعرت كذلك بالضياح والحرمان، فقد: " Elle se vit livrée à elle-même, car sa propre famille, qui ne comprenait plus que des jeunes, l'abandonna à son tour pour des raisons d'honneur que tout le monde fut forcé d'admettre. Ce fut d'ailleurs à cause de son fils Amer qu'elle fut reniée ainsi des siens. Donc, elle se vit bien seule et il lui vint à l'idée qu'elle aurait du mourir avant kaci.

"Ses yeux s'emplirent de larmes"⁽³⁾.

(1) Mouloude FERAOUN, La Terre et le sang, p13.

(2) مولود فرعون، الأرض والدم، ص17.

(3) Mouloude FERAOUN, La Terre et le sang, p18.

" وجدت نفسها وحيدة وبلا عائل يعيها، وذلك لأن أغلب أفراد عائلتها الأصلية من الشباب الذين أهملوها لأسباب تتعلق بالشرف، شرف سرعان ما اقتنع به الجميع، لقد أنكرتها عائلتها بسبب ابنها عامر، بقيت حينئذ وحيدة، وتمنت مرارا لو أنها ماتت قبل قاسي، امتلأت عيناها بالدموع" (1)

وعانى عامر من الاعتراب النفسي نتيجة الصراع الذي بداخله وهو الخوف من الضياع

Dés son arrivée à la gar de lyon, après une nuit " ولبقاء وحيدا "
blanche dans le train, il constata que ses compagnons ne
l'abandonnaient pas, Mais il se voyait perdu dans une
inimaginable cohue, dans un enfer de rumeurs, de bruits, perdu
dans la foule grouillante de tout un peuple qui s'éveillait, Il eut
.(2) beaucoup de mal à ne pas s'égarer et à suivre les autres"

"بمجرد وصوله إلى محطة القطار بليون... لاحظ أن مرافقيه لم يتخلوا عنه، ووجد نفسه تائها في حشود لا يمكن تخليها: أتون من الضوضاء والجلبة، ضاع في الجماهير الزاخرة لمجتمع قد استيقظ بأكمله، فعانى عناء كبيرا خوفا من فقدان، ومن متابعة الآخرين" (3).

وقد عانى عامر كذلك الاعتراب النفسي في فرنسا حينما بدأ الغزو البلجيكي على فرنسا"

Bientôt, les journaux annoncèrent l'envahissement de la
Belgique, les gens s'affolèrent tout à fait et se ruèrent hors de
chez eux, encombrant les gares et les routes. Des convois de
soldats passaient, interminable. Ce fut une semaine de
confusion extraordinaire. Amer n'eut pas le temps de retrouver

(1) مولود فرعون، الأرض والدم، ص25.

(2) Mouloude FERAOUN, La Terre et le sang, p44.

(3) مولود فرعون، الأرض والدم، ص61.

son calme. Personne, parmi les gens d'Ighil-Nezman, ne songeait à lui. Il s'agissait pour chacun de se débrouiller. Plusieurs étaient déjà partis, sans avoir oublié de prendre leur (compte). Et lui, il continuait d'errer n'importe où, au milieu des **foules bruyantes, comme dans un monde étrange**⁽¹⁾.

" سوف تعلن الجرائد سريعا عن غزو بلجيكا، فيذعر القوم ويخرجون من ديارهم إلى الشوارع، ويكتظون في محطات القطار والطرقات، قوافل لانهاية لها للجنود العابرين، لقد كان أسبوعا من الغموض لا مثيل له، لم يستطع عامر فيه أن يسترجع طمأنينته، ولم يفكر فيه أي فرد من ايغيل نزمان...وبقي عامر هائما على وجهه وسط الجموع الصاخبة وكأنه في عالم غريب"⁽²⁾.

ولقد دخل عامر إلى السجن وهو في فرنسا مما زاد في اغترابه النفسي " **Après l'accident, Amer vécut bien des aventures, des années difficiles, de très mauvais moments. Maintes fois, il revit la mort de près, si près qu'il lui arriva de ne pas la craindre. Dès le début de septembre, les Allemands, qui avaient envahi la France, le trouvèrent à Douai. Il fut capturé avec quelques jeunes compatriotes et expédié en Allemagne, comme prisonnier de guerre. Il connut plusieurs camps, le travail forcé et les coups.** **Il passa cinq années dans un pays maudit**⁽³⁾.

(1) Mouloude FERAOUN, La Terre et le sang, p58.

(2) مولود فرعون، الأرض والدم، ص80.

(3) Mouloude FERAOUN, La Terre et le sang, p59.

" مر عامر بعد الحادث بأوقات صعبة وعاش مغامرات كثيرة، وسنوات عجاف، وتعرض للموت مرات عديدة، بل اقترب منه قاب قوسين أو أدنى إلى أن صار يخشاه، وجده الألمان الذين غزوا فرنسا في بداية شهر سبتمبر بدووي، والقي القبض عليه مثله مثل كثير من مواطنيه، وسجن بألمانيا بصفة سجين حرب، وعرف هناك العديد من المحتشدات، والأعمال الشاقة، والضربات الموجهة، وقضى خمس سنوات في بلد لعين"⁽¹⁾.

وبعد معرفة ماري بعلاقة زوجها مع شابحة أحست بالوحدة والضياع على الرغم من عيشها عامين في ايغيل نزمان وتعودها على طريقة العيش وتعلمها لمبادئ الزواج القبائلي وكيفية المحافظة عليه، ضاقت بها الدنيا فذرفت الكثير من الدموع " **Madame alla s'asseoir sur son lit et se mit à pleurer abondamment. Elle pleurait malgré elle, ayant honte de ses larmes mais éprouvant un grand plaisir à les laisser couler. Il y avait longtemps qu'elle n'avait pas pleuré ainsi. A la fin, elle se sentit légère, presque heureuse. Ce fut d'abord le sentiment de sa solitude et de son exil qui la fit s'apitoyer sur elle-même car elle se vit sans défense, sans ami, abandonnée dans cette société qui lui apparut soudainement hostile. Puis ce fut la trahison de son amie et de son mari qui lui fit mal, telle une injustice trop lourde** "à porter"⁽²⁾.

" جلست مادام على سريرها وأخذت تبكي بكاء شديدا، لقد كانت تبكي رغم أنفها، كانت خجلة من دموعها ولكنها وجدت في تركها تنهمر لذة بالغة، مدة طويلة لم تبك على هذا

(1) مولود فرعون، الأرض والدم، ص81.

(2) Mouloude FERAOUN, La Terre et le sang, p204.

النحو، وفي النهاية أحست بنفسها مرتاحة وتكاد أن تكون سعيدة، إنه أولاً إحساسها بالوحدة، والمنفى اللذين جعلها تشفق على نفسها، ورؤيتها نفسها دون دفاع، ودون أصدقاء، مهجورة في هذا المجتمع الذي ظهر لها فجأة معاديا، ثم كانت خيانة صديقتها وزوجها، وهذا ما زاد في وجعها، كأنها جناية يثقل حملها"⁽¹⁾.

وعلى الرغم من عيش ماري بسعادة بين القبائليات كانت تحس أحيانا بالحنين إلى وطنها، وتتمنى العودة إليه والعيش فيه " **Parfois, il lui semblait qu'elle était là en vacances et qu'un jour viendrait ou elle s'en retournerait en France, alors elle rêvait à une véritable existence, là-bas** "⁽²⁾.

" أحيانا يتهيا لها بأنها في عظة، وأنه سوف يأتي يوم تعود فيه إلى فرنسا، فكانت تحلم بحياة حقيقية هناك"⁽³⁾

4-العنصرية:

يبدو أن العنصرية وليدة التاريخ فهي لم تكن في عهد الاستعمار فقط، بل كانت قبله واستمرت بعده، إذ هيمنت نظرية ما بعد الاستعمار " الميثولوجيا البيضاء على الفكر العالمي، وأصبح الغرب مصدر العلم والمعرفة والإبداع، وموطن النظريات والمناهج العلمية، ومن ثم أصبح الغرب هو المركز، وفي المقابل تشكل الدول المستعمرة المحيط التابع (الأطراف)"⁽⁴⁾ .

إن ظروف العيش التي كان يعيشها القبائليون في فرنسا وخاصة ظروف العمل، بالإضافة إلى رؤيتهم للغربيين كيف يتعاملون مع بعضهم وينبذونهم، جعلهم يشعرون بالعنصرية " **Pui il songeait à cette vie qu'ils menaient tous là, entassés dans des petites chambres ou des baraques, ou bout de la longue**

(1) مولود فرعون، الأرض والدم، ص287.

(2) Mouloude FERAOUN, La Terre et le sang, p85.

(3) مولود فرعون، الأرض والدم، ص 117.

(4) نجم عبد الله كاظم، نحن والآخر في الرواية العربية المعاصرة، مرجع سابق، ص119، نقلا عن جميل حمداري، نظرية ما بعد الاستعمار، شبكة الألوكة .<http://www.alukah.net/>.

rue, tout près des fosses, Il trouvait que les Flamands avaient l'esprit de cors, s'entraidaient, détestaient les kabyles, Les Polonais agissaient de même, Mais eux, les kabyles, les moins bien payés, les moins instruits, qui avaient besoin de se soutenir, ils se battaient, se jalousaient⁽¹⁾.

" ويفكر في الحالة التي يعيشها الجميع هنا، مكدسين في غرف صغيرة، أو في أكواخ خشبية بأقصى الطريق الطويلة قريبا من فوهة المنجم، لسيما وهو يرى أن الفلامون يتميزون بروح الجماعة، ويساعدون بعضهم بعض، ويكرهون القبائل، كما أن البولنديين يتصرفون بنفس التصرفات، أما القبائل الأقل راتبا والأقل ثقافة، والأكثر حاجة للتآزر فإنهم يتصارعون ويغارون من بعضهم"⁽²⁾.

وتزداد العنصرية حدة عندما خطط "أندري" لقتل رابح انتقاما منه جاعلا أصابع الاتهام تتجه نحو عامر لأنه الوحيد الذي كان يعمل مع عمه رابح، وكان لأندري ما أراد، وعلى الرغم من يقين القبائليين ببراءة عامر إلا أنه لا جدوى من شهادته أمام شهادة أندري لدى السلطات الفرنسية ذلك أن التعامل مع العرب يختلف تمام الاختلاف عن التعامل مع ابن البلد " Si Amer avait parlé autrement, il aurait été arrêté. De quel poids eut été son témoignage, à coté de celui d'André? On savait bien comment les choses se passaient, dés qu'il s'agissait «d'Arabes». Il suffisait de voir la manière d'enquêter. Tout le monde était pressé d'en finir. André n'avait qu'un témoin. Le pauvre Rabah avait pour lui l'équipe entière. Mais on n'insista pas. André fut mis hors de cause."⁽³⁾

(1) Mouloude FERAOUN, La Terre et le sang, p53.

(2) مولود فرعون، الأرض والدم، ص72.

(3) Mouloude FERAOUN, La Terre et le sang, p57.

"ولو أن عامرا قال شيئا آخر لقبض عليه، فما كان وزن شهادته أمام شهادة أندري؟ نعم جيدا كيف تجري الأمور عندما يتعلق الأمر "بعربي" يكفي النظر لكيفية جريان التحقيق. الكل كان متعجلا لإنهائه، فلم يكن لأندري سوى شاهد واحد فقد كان رابع المسكين بمثابة الفريق بأكمله، لكن دون جدوى من الإلحاح الآن فقد برئ أندري منذ البداية"⁽¹⁾

5- الأمية والجهل:

بعد دخول القوات الفرنسية إلى أرض الوطن حاولت طمس كل مقومات الأمة الجزائرية، فبدأت بسياسة التجهيل من أجل القضاء على الدين الإسلامي واللغة العربية، حتى تستطيع فرنسا الجزائريين، هذا ما جعل معظم الشعب الجزائري أميا، مما تسبب في جهله لكثير من أمور الدنيا وتعاليم الدين الإسلامي، فتولد عن ذلك ما يعرف بالاعتراب الديني.

و الذي يعد أحد أشكال الاعتراب التي تنتاب الشخصية الإنسانية حين لا يقدم لها إيمانها أي مخرج وجداني، فتنقل من حالة دينية أو عقدية إلى أخرى مجاوزة، وقد يعني الاعتراب الديني نوعا من الاعتراب تحت الحس الديني الطافي على سطح الشعور، والتحول إلى العمق الصوفي، أو رفض القيم الدينية⁽²⁾.

وهو عند شاخت الانفصال والانقطاع عن حياة الله، أو السقوط من النعمة الإلهية في الخطيئة والذنوب⁽³⁾.

وهو المعنى الذي عبرت عنه قصة خلق آدم وهبوطه من الجنة إلى الأرض من دون أن ترد ألفاظ الاعتراب بصورة مباشرة، لكن ابن عربي قدم استخدام الألفاظ الدالة على الغربة والاعتراب مباشرة في حديثه عن فكرة الخلق والهبوط تلك، في قوله: " إن أول غربة

(1) مولود فرعون، الأرض والدم، ص79.

(2) مريم جبر فريجات، مرجع سابق ص296، نقلا عن، يحيى العبد الله، الاعتراب، دراسة تحليلية لشخصيات الطاهر بن جلون الروائية، دار الفرابي، عمان، 2005، ص124.

(3) المرجع نفسه، ص 296، نقلا عن، محمود رجب، الاعتراب سيرة ومصطلح، ص39.

اغتربناها وجودا حسيا عن وطننا الأم غربتنا عن وطن القبضة الإلهية عند الإسهاد بالربوبية لله علينا، ثم عمرنا بطون الأمهات، فكانت الأرحام وطننا فاغتربنا عنها بالولادة⁽¹⁾.

وهو كذلك ظاهرة تنشأ لدى الإنسان كنتيجة لشعوره بالانفصال عن الذات الإلهية، وعن القيم الدينية، وتتخذ من شكل التمرد على كل مظاهر الاتصال بين الإنسان وتلك القيم قولا وفعلا، وقد تتحو نحو السلبية، فتشكل اغترابا سلبيا يوسع الشقة بين الذات الإنسانية والذات الإلهية، إمعانا في السقوط والانفصال⁽²⁾.

وقد تكلمت كل الأديان عن الاعتراب الديني فيما معناه الانفصال والابتعاد عن الذات الإلهية، وفي الإسلام يأخذ الاعتراب المفهوم ذاته؛ حيث يعني به الابتعاد عن الله، وقد بين " فتح الله خليف" أن الاعتراب الديني في الإسلام جاء في ثلاث أشكال هي: اغتراب المسلم بين الناس واغتراب المؤمن بين المؤمنين، واغتراب العالم بين المؤمنين⁽³⁾.

والاعتراب الديني هو ما يسميه علماء النفس بالحاجات الروحية، حيث أن هذه الحاجات: " تدفع الإنسان عن البحث عن إله يعظمه ويقدهسه، ويرتبط به، ويلجأ إليه، ويعمل ما يرضيه من العبادات"⁽⁴⁾.

لذلك نجد أن الإنسان في القبائل غير ذات العقائد السماوية أوجدت لنفسها قوى خفية غيبية تعتقد بقدرتها على الحماية والنصر والغفران والمعاقبة، ورمزت لها بأصنام وأشجار وأيام وأزمان، وأقامت لها المعابد، وقدمت لها القرابين، والحاجات الروحية هي مشكلة تلازم الإنسان في العصر الحديث نظرا للمتغيرات الكثيرة والسريعة في مختلف مجالات تواجد الإنسان، حيث يشير " هنري برغسون" في هذا الشأن إلى أن: " مشكلة العصر الحاضر والمتمثلة في الصراع بين طغيان الآلية وتضاؤل نصيب الروح قد ترتب عليها ذلك الفراغ بين الجسم والنفس وظهور العديد من المشكلات النفسية والاجتماعية والسياسية والدولية"⁽⁵⁾.

(1) مريم جبر فريجات، مرجع، ص297، نقلا عن ابن عربي، الفتوحات المكية، ج2، مطبعة بولاق، القاهرة، ص696.

(2) المرجع نفسه، ن ص.

(3) زليخة جديدي، الاعتراب، مجلة العلوم الإنسانية، مرجع سابق، ص350-351.

(4) عبد الطيف محمد خليفة، دراسات في سيكولوجية الاعتراب، مرجع سابق، ص107.

(5) المرجع نفسه، ص102.

إن غياب الوازع الديني دفع بشابحة وزوجها سليمان إلى انتهاج طرق بدائية من أجل محاولة الإنجاب كزيارة الموتى والتبرك بأضرحة الأولياء الصالحين وهي كلها تؤدي بالشخصية إلى الوقوع في الشرك " Ils commencèrent à s'inquiéter dès la fin de la première année. Était-ce un sort ou une malédiction? Il fallut s'entourer de précautions: se faire pardonner par ses proche jusque-là oubliés, rendre visite aux mort, distribuer des mets sur leurs tombes pour solliciter leur bienveillance, aller voir les koubas réputées, y laisser des offrandes, en promettre de plus importantes. Chacun de ces rites s'exécutait avec la plus grande humilité"⁽¹⁾

" وقد أخذنا ينزعجان بداية من السنة الأولى من زواجهما، أهو قدرهما، أم هي لعنة؟ وأخذنا يتقيدان بكثير من الاحتياطات: بالاعتذار إلى الأقارب الذين نسوهم سابقا رغبة في مباركتهما، وزيارة الموتى تارة، والوفاء بالنذر أخرى، وزيارة القبات الذائعة الصيت، ووهبها القرابين ووعدها بأهم منها مستقبلا، وكل شعيرة من تلك الشعائر كانت تتم بتدليل كبير"⁽²⁾.

وفي نفس السياق نجد أن سليمان قد قطع على نفسه عهدا وهو الانتقام لمقتل أخيه رابح، لكن رمضان قد دافع عن عامر أمام سليمان مما أوقع هذا الأخير في حيرة أينتقم أم لا؟ حتى رأى في منامه أخاه رابحا فزاد ذلك اللحم الطين بلة، فأراد سليمان تفسيره لكن لم يستطع ذلك وقرر في الأخير الاستعانة بدرويش ليعينه على تفسيره ويوجهه الوجهة الصحيحة، فذهب سليمان في بادئ الأمر إلى المقبرة وطاف حول قبر عمه " Un matin, ils se rendirent au cimetière pour se conformer à l'usage. Slimane tourna quatorze fois autour du tombeau d'Ali avec un œuf dans

(1) Mouloude FERAOUN, La Terre et le sang, p117.

(2) مولود فرعون، الأرض والدم، ص160.

sa main; il s'adressa à son oncle, à haute voix, lui donna
rendez-vous chez le derviche et ils s'en allèrent"⁽¹⁾.

" وذات صباح توجهها إلى المقبرة كما تقتضي العادة، ودار سليمان أربع عشرة دورة حول قبر علي وفي يده بيضة ثم خاطب عمه بصوت مرتفع محمدا له موعدا لدى الدرويش"⁽²⁾.

وقد لجأت النساء القبائليات إلى الاعتماد على العلاقات غير الشرعية في إنجاب الأطفال للأزواج الذين لم يرزقهم الخالق بذرية، وهذا ما عمدت إلى فعله كل من العجوزتين كمومة وسمينة حيث حاولت الأخيرتان ربط علاقة غير شرعية بين عامر وشابحة من أجل أن ترزق شابحة وزوجها سليمان بولد، فرتبتا معا للقاء بن الاثنتين لكن عامرا وشابحة قد تفتنا لحيلة العجوزتين وتفاجأ من فعلتهما، وأكد عامر لشابحة بأن أمه هي التي دفعته للمجيء بغية حراسة البيت لا غير " écoute, Chabha, il faut que je te dise: c'est ma mère qui m'envoie. Elle m'a engagé à venir. Elle a vu ta mère. Elle l'a avertie. C'était décidé entre elles: je devais venir. Ta mère savait n'est-ce pas que tu étais seule. Qu'attend-elle pour te rejoindre?

Kamouma, ma mère! Oh! Les vieilles. Elles tiennent du démon. C'est bien vrai."⁽³⁾

" اسمعيني يا شابحة، يجب أن أقول لك. إن والدتي هي التي أرسلتني وألزمتني بالمجيء. وقد قابلت والدتك، وحذرتها، واتفقت الاثنتان فيما بينهما: وكان يجب أن آتي، والدتك كانت تعلم بأنك وحيدة، أليس كذلك؟ فماذا تنتظر لكي تلتحق بك؟

(1) Mouloude FERAOUN, La Terre et le sang, p75.

(2) مولود فرعون، الأرض والدم، ص105.

(3) Mouloude FERAOUN, La Terre et le sang, p147.

آه، كمومة، والدتي! أغواهما الشيطان فعلا"(1).

وفي سياق آخر نجد القبائليين يسكتون عن حقهم في البلاد الأجنبية بسبب أميتهم وفقدهم. فلما قتل رابح في المنجم من قبل البولندي وألصقت التهمة بعامر لم يستطع القبائليون الدفاع عنه لأنهم لا يستطيعون ذلك فهم أناس أميون وفقراء جاءوا إلى فرنسا من لقمة العيش

On pesa le pour et le contre; on comprit qu'Amer s'était trouvé " dans une situation sans issue et qu'il n'y avait désormais plus rien à faire. Tuer André? C'était une solution Mais on ne pouvait pas oublier qu'on n'était pas chez soi. On était venu pour le pain des enfants, en malheureux. Il ne fallait pas trop lever la tête, ignorant et pauvre que l'on était, au milieu de gens instruits et puissants. Le silence valait mieux "(2).

"وبعد أخذ وعطاء، عرفوا بأن عامرا قد وجد نفسه في وضعية لا مخرج منها، وأنه قد فات الأوان الآن. يجب قتل أندري؟ كان ذلك حلا، لكن لا يجب نسيان أنهم ليسوا في بلادهم، فهم تعساء جاؤوا من أجل قوت أبنائهم، فلا يجب أن يتناولوا كثيرا، وهم أميون وفقراء وسط بيئة من الأفراد المتعلمين والأقوياء، فلا شيء أفضل من السكوت"(3).

ثانيا- اغتراب لغوي و ثقافي:

ويشار به إلى ابتعاد الفرد عن الثقافة الخاصة بمجتمعه، وثقافة المجتمع تتألف من العادات والتقاليد والقيم السائدة في ذلك المجتمع ومخالفة المعايير التي تضبط سلوك أفرادها؛ حيث تجد الفرد يرفض هذه العناصر وينفر منها ولا يلتزم بها، بل ويفضل كل ما هو غريب وأجنبي عنها(4).

(1) مولود فرعون، الأرض والدم، ص244.

(2) Mouloude FERAOUN, La Terre et le sang, p57.

(3) مولود فرعون، الأرض والدم، ص79.

(4) زليخة جديدي، الاعتراب، مرجع سابق، ص349.

فبعدهما هاجر عامر إلى فرنسا اكتشف عالما مغايرا لقرينته الصغيرة، كما لاحظ أيضا اختلاف العادات والتقاليد به، بالإضافة إلى اختلاف الثقافة والدين واللغة، فكل شيء كان مغايرا للثقافة العربية التي نشأ عليها عامر.

ولطالما عرف الغرب بثقافة التحرر والحضارة والتطور، بالإضافة إلى أنه يمتاز بالتصرفات المتحررة والتي تبتعد عن العادات والتقاليد العربية التي ألفناها.

"عامر" هذا الأخير الذي بمجرد ذهابه إلى فرنسا نسي عادات وتقاليد بلاده المسلمة، وأراد تقليد البلد الآخر، بلد الكفار : فعاقر الخمرة وعاشر الفرنسات، فقد تمرد "عامر" على القيم

الدينية والعادات والتقاليد العربية التي ألفها: " **Quand Amer se mit à fréquenter son oncle, il constata que ce dernier était très entreprenant et qu'il passait son temps libre à rechercher des femmes, Il quittait la ville à bicyclette, allait dans les environs, Il prenait le train, s'absentait quelquefois, poussait jusqu'à Lille, y laissait ses économies, Ce fut Rabah qui initia Amer à l'amour tandis que le Polonais lui apprit à boire pour, en fin de compte, lui faire trouver la vie belle au point d'oublier Kaci et kamouma, Actuellement, il se garde de leur en vouloir, On ne peut pas être un saint**" (1).

" حينما أخذ عامر يصادق عمه لاحظ بأن هذا الأخير جريء جدا، وأنه يقضي جل وقته الضائع في تعقب النساء، فكان يغادر المدينة على الدراجة إلى المناطق المجاورة، ويتغيب أحيانا، ويسافر في القطار إلى مدينة ليل يصرف جميع مدخراته، ورايح هو أول من مرّ عامرا على العلاقات الجنسية، في حين دربه البولندي على استهلاك الخمر" (2).

(1) Mouloude FERAOUN, La Terre et le sang, p 115.

(2) مولود فرعون، الأرض والدم، ص 69.

وكان عامر كلما يتقاضى راتبه يذهب إلى الحانة لاحتساء النبيذ مثلما يفعل الفرنسيون "

Ce fut un soir de paie qu'il entra par hasard dans ce café. Un samedi, naturellement. Il errait loin de sa chambre, comme d'habitude. Il entrait comme cela dans un bistrot, puis dans un autre,

Buvait son verre de rouge, toujours du rouge, et s'éloignait,

"l'air soucieux"(1).

"دخل صدفة إلى ذلك المقهى، وكان قد تقاضى راتبه مساء ذلك اليوم، وبطبيعة الحال فقد كان ذلك اليوم مساء السبت، وكالعادة في مثل ذلك التوقيت كان يسبح على وجهه بعيدا بعيدا عن غرفته، يذلف إلى الحانة فيحتسي كأسا من النبيذ الأحمر دائما، ثم يذهب إلى حانة أخرى، وفي كل مرة يزداد ابتعادا عن غرفته"(2)

وقد رآه أفراد من قريتهم الذين سافروا إلى فرنسا يعاشر رومية " **A la vérité, la situation présente et passée d'Amer ne comporte pas beaucoup d'énigmes. Tous ses compatriotes qui vont à Paris, L'ont vu établi «en ménage», dans un hôtel de troisième ordre à Barbès"(3)**

"في حقيقة الأمر لا ينطوي وضع عامر الحالي والماضي على أسرار كثيرة، لقد رآه كل أفراد قريته الذين زاروا باريس يعاشر رومية، ويقوم في فندق متواضع من الدرجة الثالثة في حي بارياس"(4).

(1) Mouloude FERAOUN, La Terre et le sang, p 61.

(2) مولود فرعون، الأرض والدم، ص84.

(3) Mouloude FERAOUN, La Terre et le sang, p10.

(4) مولود فرعون، الأرض والدم، ص13.

وبمجيء ماري إلى إيغيل نزمان وجدت صعوبة في التواصل مع القبائل، فهي لا تفهم القبائلية، فلجأت حينها إلى الإيماءات حتى تتواصل مع أم زوجها وكان عامر يعمل بمثابة المترجم لهما وفي نفس الوقت يضحك عليهما " **La vie devint assez cocasse, pleine de petits embarras, d'incidents comiques, de malentendus entre les deux femmes, tandis que l'homme évoluait à son aise, «tirait les ficelles» comme un gamin qui s'amuse avec des marionnettes, riant de leur mimique désespérée, de leurs confusions et traduisant exactement ce qu'il voulait**"(1).

" باتت الحياة مليئة بالسخافات، والمنغصات والأحداث المضحكة، وسوء الفهم بين المرأتين، في حين كان الرجل يتطور على راحته، «يشد الأوتار» كأنه طفل يتسلى بلعبتين، ضاحكا من إيماءاتهما المضنية ومن غموضهما ومترجما لهما بدقة ما يريدان قوله"(2).

وقد تفضل ماري أحيانا السكوت عندما يتحد أمامها القبائليون بلهجتهم فلا تفهم شيئا " **Alors il lui arrivait de rester tout le temps à écouter, sans jamais rien dire. Et parfois sans rien comprendre, car on ne se gênait guère pour parler kabyle devant elle.**"(3).

" فكان يحدث أن تبقى ساكته، تستمع إليهم طول المدة، ودون أن تنبس ببنت شفة، وأحيانا دون أن تفهم شيئا، لأنهم كانوا لا يتخرجون أبدا من الحديث بالقبائلية أمامها"(4).

ثالثا- اغتراب اقتصادي:

(1) Mouloude FERAOUN, La Terre et le sang, p26-27.

(2) مولود فرعون، الأرض والدم، ص36.

(3) Mouloude FERAOUN, La Terre et le sang, p81.

(4) مولود فرعون، الأرض والدم، ص113.

وهو مفهوم درج على يد كارل ماركس، ويشير إلى شعور العامل بانفصاله عن عمله، على الرغم من وجوده كفرد، كجسم في نقر عمله (المؤسسة)، وذلك الإحساس بالانفصال يولد لديه شعورا بالعجز والملل والخوف من المستقبل، حيث أن: " شعور العامل بانفصاله عن عمله بالرغم من وجوده الجسمي داخل المنظمة، والشعور بالعجز والملل والرتابة في أداء عمله... و كذلك شعوره بالإحباط والخوف من المستقبل، وأن المادة هي الغاية في الحياة وليست الوسيلة"⁽¹⁾.

فإذا أصبح الإنسان مغتربا عن عمله اليومي فهو بالضرورة يكون قد اغترب أيضا عن نفسه، وعن إمكانياته الخلاقة والأواصر الاجتماعية التي تحدد من خلالها إنسانيته⁽²⁾ أي أن الإنسان إذا عاش مشاعر الاعتراب في الوسط الذي يعمل فيه، سيعم ذلك على حياته النفسية والاجتماعية، فيفقد إمكانياته الفاعلة كما يفقد علاقاته الاجتماعية، الشيء الذي يبعده عن الآخرين ويجعل منه كائنا بعيدا عن إنسانيته.

وقد تعددت أوجه الاعتراب الاقتصادي في رواية " الأرض والدم" وفيما يلي رصد لأبرزها:

1-ظروف العمل:

بوجود الاستعمار في البلاد انتهج سياسة تصدير أراضي الأهالي وقام بتوزيعها على المعمرين، فأصبحوا بذلك هم ملاك الأراضي، وعانى عندها الأهالي من الفقر والجوع فلم يجدوا من وسيلة إلا العمل عند أولئك المعمرين في أراضيهم المسلوقة منهم، ولتحسين ظروف المعيشة اضطر كثير منهم إلى المجازفة وعبور البحر إلى فرنسا أملا في العودة بنقود كثيرة " **Il fut dire qu'en ces temps héroïques d'avant la première Guerre mondiale, les kabyles commençaient à peine à découvrir la France. Jusque-là, ils s'étaient contentés d'aller travailler dans les exploitations de liège à Philippeville ou à**

(1) زليخة جديدي، الاعتراب، مرجع سابق، ص 349

(2) المرجع نفسه، ن ص.

Bône. Certains s'engageaient aux mines de phosphates du Constantinois ou de Gafsa et la majorité, pour vingt sous la journée, se louaient par escouades aux colons de la Mitidja. Seuls les plus hardis osaient traverser la mer, croyaient affronter de grands périls, acceptaient l'idée d'être damnés pour avoir vécu en pays chrétien mais, en revanche, se voyaient bien reçus, bien payés et considérés. A leur retour, ils rapportaient **"beaucoup plus d'argent que les autres."**⁽¹⁾.

" يجب القول بأن هذه الفترات البطولية التي سبقت الحرب العالمية الأولى كان القبائل في بداية اكتشافهم لفرنسا، وقبل هذه المدة، اكتفى بعضهم بالذهاب للعمل في مستثمرات الفلين بسكيكدة وبجاية، والبعض الآخر انخرط في حفر مناجم الفوسفات بالضواحي القسنطينية وقفصة، والأغلبية منهم كان المعمرون يكترونهم زمرا زمرا بالمتيجة مقابل عشرين في آخر النهار، والأكثر إقداما منهم وحدهم الذين تجرأوا على عبور البحر، رغم علمهم بأنهم يواجهون مجازفة كبيرة لقبولهم فكرة اللعنة الأبدية بسبب عيشتهم في البلاد المسيحية، لكن وبالمقابل فإن القبائل يجدون أنفسهم هناك أحسن استقبالا وأحسن راتبا ومكانة، وعند عودتهم كانوا يعودون بكثير من النقود خلافا لغيرهم"⁽²⁾.

وقد كان عامر واحدا من الذين اختاروا عبور البحر من أجل لقمة العيش وقد كان ذلك سنة 1910 " Ce départ, il ne saurait l'oublier. Le jour et le mois important peu. C'était en 1910, à la fin de l'hiver, un matin. Il se revoit à la sortie du village avec trois compatriotes, morts à

(1) Mouloude FERAOUN, La Terre et le sang, p43.

(2) مولود فرعون، الأرض والدم، ص58-59.

présent. Ils ont été escortés jusque-là par les parents en larmes.⁽¹⁾

"تلك البداية التي لا يمكن نسيانها، اليوم والشهر لا قيمة لهما، كان ذلك بمخرج القرية في صبيحة يوم من نهاية شتاء عام 1910، وجد عامر نفسه رفقة ثلاثة من مواطنيه قضوا نحبهم جميعا، يرافقهم ذوهم إلى ذلك المكان بعيون دامعة"⁽²⁾

لكن لصغر سن عامر لم يستطع في بادئ الأمر العمل في المنجم لأن العمل كان شاقا وعامر ما يزال طفلا صغيرا لا يقوى على تحمل الصعاب، وقد رفضت الإدارة قبوله فاضطر إلى العمل كطباخ لرفاقه لكنه كان يتقاضى أجرا جيدا " **Jusque-là , Amer était cuisinier du groupe. On le payait suffisamment. Mais cela l'humiliait un peu de faire le ménage comme une fillette. Il songeait que la chose pouvait être sue de son père, là-bas.**⁽³⁾

" وإلى غاية ذلك الزمن كان عامر طبّاخ الجماعة ويتقاضى راتبا جيدا، غير أن هذا كان يخرجه شيئا ما لكونه يقوم بالأعمال المنزلية كالفتاة، ويخشى أن يعلم والده به في القرية"⁽⁴⁾

وبع إعفاء لمدة عامر قبلت الإدارة أخيرا تشغيله في المنجم مع الرجال ففرح كثيرا وأحس بأنه قد صار رجلا يعتمد عليه، لكن لم يسمح له عمه رابح بممارسة الأعمال الشاقة في بادئ الأمر حتى يتعود رويدا رويدا على العمل " **Pourtant, grâce à son oncle, il ne connaîtra pas tout de suite les travaux difficiles. Au début, on l'employa à trier et à verser la houille dans des bennes, avec les plus faibles des ouvriers. Puis il devint galibeu, à l'arrière**

(1) Mouloude FERAOUN, La Terre et le sang, p42.

(2) مولود فرعون، الأرض والدم، ص57.

(3) Mouloude FERAOUN, La Terre et le sang, p47.

(4) مولود فرعون، الأرض والدم، ص65.

d'un attelage dirigé par un flamand. L'atmosphère irrespirable, les sueurs, le travail sans arrêt, à la lumière vacillante des lampes de mineurs, le surveillant qui vous harcèle tout le temps, cela ne lui faisait pas regretter l'année grasse. Il se sentait homme. Il parlait en homme, touchait sa paie comme les autres et n'entendait recevoir les conseils de personne. (1)

" ومع ذلك فإن الفضل يعود إلى عمه في عدم ممارسته للأعمال المرهقة أول أمره، فقد كلفوه في البداية بفرز الفحم الحجري، وتفريغه في العربات، هو والعجاف الهزال من العمال أمثاله، ثم أصبح معاون معدن في مؤخرة عربات قطار يقوده رجل من الفلامون، إن أجواء القهر والعرق والعمل الذي بدون انقطاع على النور المترشح لمصابيح المنجميين، ورئيس الوردية الذي لا يكف عن التوبيخ، إن كل ذلك لم يجعله يندم على سنة الإغفاء التي قضاها طباخا، فقد أحس بأنه أصبح رجلا ويتكلم كالرجال، ويتلقى راتبه كالأخرين، ولا ينتظر أمرا من أي كان" (2).

على الرغم قسوة ظروف العمل في المنجم إلا أنها لم تحبط من عزيمة عامر، بل دفعه ذلك إلى الشعور برجوليته وبأنه يعتمد عليه كغيره من العمال المتواجدين معه.

2- ظروف المعيشة:

امتازت حياة معظم الجزائريين إبان الاستعمار بالفقر حيث إنهم كانوا يسكنون في القرى والمداشر وفي بيوت صغيرة تشبه الأكواخ، فقد كانت حياتهم تعيشة جدا " Ces fanges bleuâtres qui sortent en rigoles des maisons, ces pâtés d'excrément qui pourrissent dans les recoins, ces murs à moitié

(1) Mouloude FERAOUN, La Terre et le sang, p49.

(2) مولود فرعون، الأرض والدم، ص67.

écroulés et rapiécés de claies en roseaux, ces gourbis minuscules enfumés et malpropres.⁽¹⁾

"إن هذه السواقي الموحلة الزرقاء المتسربة من المنازل وهذه الفطائر من البراز التي تتعفن في الزوايا، وهذه الجدران المنهارة إلى النصف والمرقعة بسيجات القصب، وهذه الأكواخ الصغيرة المتسخة التي يكسوها الدخان"⁽²⁾.

ولما عاد عامر من هجرته بعد خمس عشرة سنة وجد منزل أبويه على حاله إذ لم يتغير فيه شيء، وقد قامت كمومة بوضع الحصير والدوم من أجل أن تجلس زوجة ابنها فيه على الرغم من قدمه واتساخه " Elle courut prendre, sur le gros bâton de literie, une natte en doum sur laquelle jeta, pele-mele, quelques couvertures de laine enfumées et un oreiller informe. Elle y fit asseoir la dame qui s'y enfuit maladroitement, avec résignation, comme dans un paquet de linge sale."⁽³⁾

" ركضت نحو عمود عليه عدّة سرير، فتناولت حصيرا من الدوم، ورمت فوقه بلا نظام بعض البطانيات الصوفية المسودة بالدخان، ووسادة لا شكل لها، ثم أجلست السيدة المترددة وسطها، فاندست فيها خاضعة وكأنها داخ كومة ملابس الغسيل المتسخة"⁽⁴⁾.

ولم تكن ظروف العيش في فرنسا أحسن حالا، فبالرغم من سفر عامر إلى فرنسا بلد الأحلام والحضارة والتطور إلا أن القبائل كانوا يعيشون في ظروف تشبه ظروف عيشتهم في إيغيل نزمان، إذ كانوا يعيشون مع بعضهم في غرفة واحدة وقد اتسمت تلك الغرفة بالاتساخ والضيق " Ils avaient une chambre au premier: une longue pièce au plafond enfumé, avec une fenêtre sur le pignon et une autre sur

(1) Mouloude FERAOUN, La Terre et le sang, p5.

(2) مولود فرعون، الأرض والدم، ص6.

(3) Mouloude FERAOUN, La Terre et le sang, p6.

(4) مولود فرعون، الأرض والدم، ص9.

la façade. Sur le parquet sale et gluant s'alignaient trois lits. Au fond il y avait une vieille armoire, un matelas plié et tout autour des ballots de linge, des couvertures. Près de la porte une petite table pleine de vaisselle, à coté d'un poêle en fonte. C'était là qu'ils se retrouvaient ou se relayaient pour se laver, manger et dormir, chaque jour, après le travail"⁽¹⁾.

" ولديهم غرفة في الطابق الأول: وهي غرفة طويلة دخناء السقف بها نافذة في أعلى الجدار المثلث الملاصق للسطح، وأخرى تطل على الواجهة وعلى أرضيتها العفنة اللزجة تقاطر ثلاثة أسرة، وفي المؤخرة خزانة قديمة، وحشية مطواة، وعلى جميع الجوانب أكياس الملابس والأغطية، وبالقرب من الباب طاولة صغيرة تكدست عليها الأواني المنزلية، وبجانبها مدفأة من الحديد المسبوك، ذاك هو المكان الذي يتواجدون فيه أو يتداولون فيه على الغسل والأكل والشرب"⁽²⁾.

فالقبايليون يعيشون حياة بؤس وشقاء سواء في بلادهم أم في فرنسا، وهم الذين كانوا يحلمون بحياة الترف بعد هجرتهم وذلك لسماعهم كثير الحكايات من إخوانهم العائدين عن فرنسا وعن جمالها وسحرها وحسن المعيشة بها.

فالملاحظ على هذه الأنواع المختلفة من الاعتراب أنها متداخلة حتى إننا لا نستطيع أن نفرق بينها أحيانا، فقد جاءت جميعها متضافرة حتى تنقل معاناة الشخصية في الرواية، خاصة وأن بطل الشخصية قد هاجر إلى فرنسا فنشأت عنده مجموعة من الاعترابات المختلفة، بالإضافة إلى شعور زوجته الفرنسية كذلك بشتى أنواع الاعتراب بعد مجيئها معه إلى قريته الصغيرة.

(1) Mouloude FERAOUN, La Terre et le sang, p 47.

(2) مولود فرعون، الأرض والدم، ص 64-65.

ويتضح لنا من خلال ما تقدم عرضه من تعريف للشخصية وتبيان لأهم أنواعها، وتعرفنا على أهم أنواع الاعتراب الذي أحست به، بأنها بالفعل هي المحرك الديناميكي للعمل الروائي فلولاها لما استطعنا الولوج إلى عالم الاعتراب الغامض والشائك.

الفصل الثاني: تجليات فضاء الغيرية في رواية "الأرض والدم"

تصنيف

I- تعريف الفضاء وفضاء الغيرية.

II- أنواع الفضاء.

III- تصنيف الفضاء الجغرافي:

IV- صورة الآخر باعتباره فضاء ثقافيا واجتماعيا:

تمهيد:

كثيرة هي الدراسات الأدبية والنقدية التي تهتم بدراسة البناء السردى في النتاج الروائى والقصى العالمى بشكل عام والنتاج العربى بشكل خاص.

وقد اهتم عديد الباحثين والدارسين الغربيين فى مجال السرديات بمنطق الأحداث، ووظائف الشخصوس، وزمنية السرد، وتجشمو عناء التنظير لكل هذه المكونات السردية، وأما بخصوص الفضاء فتؤكد الدراسات التى تناولته فى الحكى_ وهى حديثة العهد_ أنها ليس بمقدورها تكوين نظرية كاملة لأنها مجرد جهود وأبحاث مشتتة غير موحدة حتى تكون نظرية، لكن بفعل التراكم يمكننا التأسيس لنشوء رؤية واحدة تقود إلى تشكيل نظرية فى الفضاء، وهذا ما يؤكد قول حميد لحميدانى: "إن الأبحاث المتعلقة بدراسة الفضاء فى الحكى تعتبر حديثة العهد، ومن الجدير بالذكر أنها لم تتطور بعد لتؤلف نظرية متكاملة عن الفضاء الحكائى، مما يؤكد أنها أبحاث لا تزال فعلا فى بداية الطريق، ثم إن الآراء التى نجدها حول هذا الموضوع هى عبارة عن اجتهادات متفرقة لها قيمتها، ويمكنها إذا تراكمت أن تساعد على بناء تصور متكامل حول هذا الموضوع"⁽¹⁾.

فدراسة الفضاء إذا ظلت عبارة عن مجموعة من آراء ومجهودات الباحثين، ذلك أنها مجموعة من وجهات نظر جزئية لم تتوصل إلى تصور كلى للفضاء.

غير أن الوضع تغير بتقدم الدراسات السردية التى تتناول الخطاب الروائى، فبدأ الفضاء يكسب أهميته كمكون أساس فى الرواية، وقد أبدع الكتاب فى تشكيلاته على مستوى اللغة، مما جعل ساحة النقد تعج بمفاهيم عدة للفضاء.

وقد كتب عديد الروائيين روايات عن الفضاء وجسدوا من خلالها صورا جمالية له، وخاصة الفضاء المدينى باعتبار أن الفضاء هو المسرح الذى تجري فيه أحداث الرواية،

(1) حميد لحميدانى، بنية النص السردى من منظور النقد الأدبى، مرجع سابق، ص53.

ولكن بعد هجرة العرب إلى البلدان الغربية إما للدراسة أو العمل نتيجة الظروف التي عاشوها في بلدانهم أثناء تواجد الاستعمار بها، احتكوا بالغرب فتولد عن ذلك الاحتكاك التعرف على فضاء آخر هو فضاء البلاد الغربية بكل ما يعتريه من ثقافة ودين ولغة وحضارة مختلفة تمام الاختلاف عن فضاء الذات العربية، ومن هنا يتبادر إلى ذهننا السؤال عن: ماهية الفضاء وفضاء الغيرية (الآخر)، وماهي أنواعه؟ وكيف جسد الروائي فضاء الغيرية من خلال رواية الأرض والدم؟

أولاً-تعريف الفضاء وفضاء الغيرية:

1-لغة: جاء في لسان العرب أن فضا: الفضاء: المكان الواسع من الأرض، والفعل فضا يفضو فضوًا فهو فاضٍ، وقد فضا المكان وأفضى إذا اتسع، ويقال أفضى فلان إلى فلان أي وصل إليه، وأصله صار في فضائه وحيزه.

والفضاء: الخالي، الفارغ الواسع من الأرض، والفضاء كذلك هو الساحة وما اتسع من الأرض، وهو كذلك ما استوى من الأرض واتسع، ويقال أفضينا إلى الفضاء وجمعه أفضية(1).

فالفضاء في تعريفه اللغوي يدل على المكان الواسع أو الموجل في الاتساع، أي يعني المكان الجغرافي.

2-اصطلاحاً:

لقد شاعت عدة مصطلحات لمفهوم الفضاء، مما دفع النقاد الغربيين إلى محاولة التمييز بين عدة مصطلحات تصب جميعها في مفهومه وهي: الحيز، المجال، الموقع، الفضاء، المكان.

كما نجد المنظرين الألمان قد ميزوا بين مكانين متعارضين في العمل الحكائي هما: **Raum، Lokal** حيث عنوا بالأول المكان المحدد الذي يمكن أن تضبطه الإشارات الاختبارية كالمقاسات والأعداد، في حين قصدوا بالثاني: الفضاء الدلالي الذي تؤسسه الأحداث ومشاعر الشخصيات في الرواية(2).

(1) ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، مج 15، باب الواو، فصل الفاء، ص157-158.
(2) باديس فوغالي، الزمان والمكان في الشعر الجاهلي، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ودارا للكتاب العالمي للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1429هـ-2008م، ص 175، نقلا عن حسين بحراوي، الفضاء الروائي، ملاحظات من أجل بحث، مجلة الفكر العربي المعاصر، ع 76، 1990، ص30.

فالمكان الأول يقصد به المكان الهندسي ذي الأبعاد والقياسات الخاضعة لحسابات دقيقة، في حين يقصد بالثاني المكان الذي يتشكل في التجربة الإبداعية، وذلك استجابة لما عاشه أو عايشه الأديب إما من خلال اللحظة التي عاشها أو من خلال خياله.

أما النقاد الفرنسيون فقد عمدوا إلى استخدام كلمة **Espace** الفضاء، بدلا من مصطلح **Lieu** الموقع، إذ اعتبر كل من "غاستون باشلار **Gaston Bachelard**" و"بولي أن الفضاء: " محتوي تتجمع فيه مجموعة الأشياء المتفرقة أو عملية التذكر"⁽¹⁾، وذلك من خلال جدلية الداخل والخارج بالنسبة لباشلار، والمسافة الداخلية بين الفكرة وموضوعها بالنسبة لبولي⁽²⁾.

في حين يرى "غريماس **Greimas**" بأن الفضاء النصي هو موضوع مهيكلي يحتوي على عناصر متقطعة غير مستمرة، لكنها منتشرة عبر امتداده وفق نظام هندسي متميز يسهم في تصوير التحولات والعلاقات المدركة، والمحسوسة بين الذات الفاعلة داخل الخطاب السردية⁽³⁾.

فالفضاء حسب رأي غريماس هو الفضاء الذي تبذعه شخصية الأديب عن طريق ترجمة ما يعايشه في الواقع المحسوس.

وقد ذهب " عبد الملك مرتاض" في كتابه "في نظرية الرواية" إلى التفريق بين الحيز والفضاء والمكان، فيرى أن الفضاء يكون معناه جاريا في الخواء والفراغ، بينما الحيز فينصرف استعماله إلى النتوء والوزن والثقل والحجم، على حين أن المكان نريد أن نوقفه في العمل الروائي على مفهوم الحيز الجغرافي وحده⁽⁴⁾.

(1) باديس فوغالي، الزمان والمكان في الشعر الجاهلي، مرجع سابق، ن ص، نقلا عن André helbo, Michele Butore vers une Literature du Signe, Ed, Complexe, Dist, presses universitaires de France, 1975, p133.

(2) المرجع نفسه، ن ص، نقلا عن المرجع نفسه، ص43.

(3) المرجع نفسه، ص176، نقلا عن Greimas et Courtés, Dictionnaire raisonné De la langage, ed, Hachete, paris, p133.

(4) عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، مرجع سابق، ص121. نقلا عن عبد الملك مرتاض، تحليل الخطاب السردية، معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدق، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص 1995.

فعبد الملك مرتاض قد فضل الحيز على باقي المصطلحات الأخرى، لأنه يعتقد أن مصطلح الفضاء قاصر بالقياس بالحيز.

والحيز في نظره هو عالم دون حدود، وبحر دون ساحل، ونهار دون مساء، إنه امتداد مستمر مفتوح على جميع المتجهات وفي كل الآفاق⁽¹⁾.

ومن الدارسين من اعتمد مصطلح المكان، إذ عدوه أهم عنصر من عناصر الرواية، ذلك أنه الموضع الذي تجري فيه الأحداث وتتحرك خلاله الشخصيات، فهو فضاء يحتوي كل عناصر الرواية الأخرى، وقد يكون أحيانا هو الهدف من العمل الروائي، وإذا كانت الرواية بالأساس حبكة (حدث روائي) وشخصيات (أبطال) وفكرة (موضوع) فإن للرواية أيضا جانبا آخر هو مكان اللقاء، هذا المكان الذي يسمح لشخصيات متعددة بالالتقاء ضمن إطار عام وسياق واحد، وبالتالي يساهم في تكون الحدث الروائي (الحبكة)⁽²⁾.

ولا بد من الاتفاق على أن المكان أيا كان شكله ليس هو المكان في الواقع الخارجي "ولو أشارت إليه الرواية أو عنته أو سمته بالاسم، إذ يظل المكان في الرواية عنصرا من عناصرها الفنية، منطلقها الواقع في حين أن نقطة الوصول ليست هي العودة إلى العالم الواقع، إنها خلق عالم مستقل له خصائصه الفنية التي تميزه عن غيره"⁽³⁾.

إذا فالمكان في الواقع هو المكان الحقيقي الموجود بأبعاده المادية، في حين أن المكان في الرواية هو المكان الذي تصنعه اللغة حسب التخيل الروائي ومتطلباته، فالنص الروائي يخلق أمكنة خيالية لها مقوماتها الخاصة، ويستعين الروائي فيه بالتسمية (تسمية الأماكن) وبالوصف لإثارة خيال المتلقي.

(1) عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، مرجع سابق، ص135.

(2) غسان زيادة، قراءات في الأدب والرواية، إنه نداء الجنوب، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1995م، ص107.

(3) سيزا أحمد قاسم، بناء الرواية، دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، بيروت، ط1، 1984م، ص74.

من هذا نجد أن المكان الروائي يختلف عن المكان الواقعي، فالواقع ليس مرجعا كليا للمكان في الرواية ذلك أن المكان الروائي قائم بذاته تخيلي يتماهى أحيانا مع الواقع في التسمية أو في الوصف لكنه ليس هو الواقع إطلاقا.

وبعد عرضنا للمفاهيم السابقة يتضح جليا أن الفضاء هو الأقرب إلى الاستعمال في الدراسات "لأن مصطلح الفضاء أكثر شمولاً واتساعاً من مصطلح المكان"⁽¹⁾.

وهذا ما وضعه "حميد لحميداني" عندما ميز بين الفضاء والمكان، حيث رأى أن الفضاء يطلق على مجموع الأمكنة الموجودة في الرواية، وبهذا يكون الفضاء أشمل وأوسع من معنى المكان، ويكون المكان مكوناً للفضاء، فالفضاء إذا "شمولي، إنه يشير إلى المسرح الروائي بكامله، والمكان يمكن أن يكون فقط متعلقاً بمجال جزئي من مجالات الفضاء الروائي"⁽²⁾.

ومن هنا يتضح لنا أن المكان تحدده أبعاد مادية، في حين أن الحيز مهما اتسع فإنه تحكمه حدود وفواصل، أما الفضاء فهو ما اتسع من الأرض وهو كذلك المكان الفاضي الموجل في الاتساع والذي لا تحده أي حدود على عكس ما هو عليه الحيز.

وعليه آثرنا استعمال مصطلح الفضاء لأنه المصطلح الأكثر تداولاً وشيوعاً في أغلب الدراسات.

وقد تناول عديد الروائيين مختلف الفضاءات في رواياتهم خاصة المتعلقة بالمدينة، ولكن بعد احتكاك العرب بالغربيين بعد هجرتهم إلى الغرب، اكتشفوا فضاءً آخر مختلف عن الفضاء الذي ألفوه سواء من حيث الموقع الجغرافي أو العادات أو التقاليد أو الدين أو الثقافة، وقد عرف هذا الفضاء بفضاء الغيرية، فما هو هذا الفضاء؟

(1) فضيلة بولجمر، هندسة الفضاء في رواية الأمير لواسيني الأعرج، مذكرة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، 2009-2010م، ص17، نقلا عن سمر روجي الفيصل، الرواية العربية البناء والرؤيا، مقاربات نقدية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د ط، 2003م، ص71.

(2) حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، مرجع سابق، ص63.

3-تعريف فضاء الغيرية:

نظرا لقلّة الدراسات السردية حول مصطلح الغيرية باعتبارها فرعا جديدا من فروع الأدب المقارن، حاولنا من خلال ما تناولناه في الفصل التمهيدي عن مفهوم الغيرية في الدراسات السردية وعن ما تناولناه في هذا الفصل عن مفهوم الفضاء أن نستخلص مفهوما شاملا لهما يتمثل في فضاء الغيرية.

مادام الفضاء في الرواية يشكل أهم عنصر من عناصرها الفنية، وهو بذلك لا يطابق فعلا الفضاء الحقيقي ذي الأبعاد المادية، بل إنه رسم من إبداع مخيلة الكاتب، فقد صور لنا الكتاب العرب في رواياتهم أهم الفضاءات المختلفة (المفتوحة والمغلقة) حتى تعكس لنا هذه الفضاءات دلالات جمالية للمدينة العربية، لكن في كثير من الروايات العربية كانت الفضاءات المتناولة تشير عادة إلى الدلالات السلبية كالاتساح والقدم مما يعكس حالة التخلف التي تعيشها البلدان العربية، وبمعايشة العرب للغربيين بعد هجرتهم إلى البلدان الغربية خاصة فرنسا فقد تفتحوا على عالم آخر يختلف عن عالمهم عالم يتميز بدين آخر وبعادات وتقاليد مغايرة بالإضافة إلى الثقافة والحضارة المغايرة للحضارة العربية الإسلامية بدينها وعاداتها وتقاليدها، عندها صور لنا الروائيون العرب -في تناولهم للآخر المختلف عنا- تلك المقارنة بين الثقافتين في كتاباتهم المكتوبة باللغة الأجنبية وبخاصة الكتاب الجزائريون، ومن هنا نستنتج أن فضاء الغيرية هو: " ذلك الفضاء الذي يتناول صورة الغرب باعتباره آخرا مختلفا عنا ويشمل هذا الاختلاف الموقع الجغرافي (شرق-غرب)، الحضارة والدين والثقافة والعادات والتقاليد بالإضافة إلى السلوكات(المتحررة) المغايرة لسلوكات العرب المسلمين".

مادام الفضاء في الرواية متنوعا، فما هي أهم الفضاءات التي تناولها "فرعون" في روايته "الأرض والدم"؟

ثانيا-أنواع الفضاء:

لقد برزت وجوه متنوعة للفضاء وفقا لرؤى الدارسين والباحثين في حقل السردية (Narratology) ومنها:

1-الفضاء كمعادل للمكان: (L'espace géographique)

ويفهم الفضاء في هذا التصور على أنه الحيز المكاني في الرواية أو الحكى عامة، ويطلق عليه عادة الفضاء الجغرافي (L'espace géographique) (1)، حيث إن أغلب الدراسات تهتم بدراسة الفضاء الروائي باعتباره "فضاء جغرافيا يؤسس السرد ويعطي للخيال مظهر الحقيقة، ويعلن واقعية المغامرة عبر نوع من الانعكاس المجازي الذي يقطع أو يلغي شك القارئ" (2)، أي أن الكاتب أو الروائي يقوم بتزويد القارئ بحد أدنى من الإشارات الجغرافية، تكون فقط مجرد انطلاق من أجل إطلاق العنان لخيال القارئ أو تحقيق اكتشافات منهجية للفضاءات في العمل الروائي.

أما "جوليا كريستيفا J.kristeva" فإنها ربطت الفضاء الجغرافي بدلالاته الحضارية والتي تكون عادة مرتبطة بعصر من العصور، أو ما يسمى "إيديولوجيم" العصر "Idiologéme" وهو ذلك الطابع الثقافي الغالب في عصر من العصور ولذلك ينبغي للفضاء الروائي أن يدرس دائما في تناصيته، أي في علاقته مع النصوص المتعددة لعصر ما أو حقبة تاريخية محددة (3)، ومن هنا تعلن كريستيفا تعلق الفضاء الجغرافي بالمضمون الروائي.

(1) حميد لحميداني، بنية النص السردية من منظور النقد الأدبي، مرجع سابق، ص53.

(2) محمد العافية، الخطاب الروائي عند اميل حبيبي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 1997م، ص172.

(3) حميد لحميداني، بنية النص السردية من منظور النقد الأدبي، مرجع سابق، ص54، نقلا عن J.Kristeva, le texte du roman, approche sémiotique structure discursive transformationnelle, Mouton, 1976, p182.

ويكتسب المكان الجغرافي داخل النص أبعادا نفسية واجتماعية وتاريخية وعقائدية " حتى إننا نسترجع هذه السياقات والأبعاد عند استرجاعنا للمكان نفسه، أو ما يرتبط به"(1).

2- الفضاء الدلالي: (Espace sémantique)

الفضاء الدلالي ومن خلال تسميته ليس فضاء ملموسا بمعنى أن ليس له مساحة في الواقع، فهو مسألة معنوية لها علاقة باللغة المجازية أو ما يدعى الصورة التي تبدها لغة الحكى.

ويتضح مفهوم الفضاء الدلالي من خلال الدلالات والأبعاد المجردة التي يتخذها المكان أو الفضاء كالبعد الاجتماعي، أو السياسي، وهذا ما عبرت عنه "سيزا قاسم" في تصورهما للمكان في الرواية "بأنه حامل لمعنى ولحقيقة أبعد من الحقيقة الملموسة، فإن ثمة ظاهرة أخرى لها أهمية كبيرة بالنسبة إلى تشكيل عالم الرواية وهي إضفاء البعد المكاني على الحقائق المجردة، أي دور الصورة في تشكيل الفكر البشري"(2).

كما يرى "جيرار جنيت G.Gentte" أن هناك فضاء دلالي (Espace sémantique) يتأسس بين المدلول المجازي والمدلول الحقيقي للغة الأدبية وهذا الفضاء من شأنه أن يلغي الوجود الوحيد للامتداد الخطي للخطاب، وهذا حسب رأيه ما يسمى بالصورة (Figure) إذ يقول "إن الصورة، هي في الوقت نفسه الشكل الذي يتخذه الفضاء، وهي الشيء الذي تهب اللغة نفسها له، بل إنها رمز فضائية اللغة الأدبية في علاقتها مع المعنى"(3).

(1) فتحة كحلوش، بلاغة المكان، قراءة في مكانية النص الشعري، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ط1، 2008، ص24، نقلا عن عز الدين المناصرة، شهادة في شعرية الأمكنة، ص28.

(2) سيزا أحمد قاسم، بناء الرواية، دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، مرجع سابق، ص13

(3) حميد لحميداني، بنية النص الأدبي، مرجع سابق، ص60-61، نقلا عن G. Gentte, Figures II, Seuil, 1976K p46-47

يتحدث "جنيت" هنا عن اللغة المجازية، حيث إن الفضاء بهذا المفهوم ليس له مكان ملموس في الواقع لأنه مجرد مسألة معنوية، ثم إن النقاد الذين تناولوا الفضاء قد اشتروا شرطاً أساسياً وهو وجود مجال مكاني محدد يمكن إدراكه أو تخيله.

3- الفضاء النصي: (L'espace Textuel)، أو الفضاء الطباعي:

ويقصد به المكان الذي يحتله النص على الصفحة، ذلك أن "الكتابة ليست تنظيماً للأدلة على أسطر أفقية ومتوازية فقط، إنها قبل كل شيء توزيع لبياض وسواد على مسند وهو في عموم الحالات الورقة البيضاء"⁽¹⁾.

أي أنه يهتم بمساحة الورقة والطريقة التي تملأ بها الكتابة فضاءها بواسطة الأحرف الطباعية، كما يمكن أن يلحق بدراسة فضاء النص تشكيل كتابة العنوان الذي يشغل فضاء الغلاف، وافتتاحيات ونهايات الفصول، بالإضافة إلى تغييرات الكتابة المطبعية والفهارس، فالفضاء النصي هو "ذلك الحيز الذي تشغله الكتابة ذاتها- باعتبارها أحرفاً طباعية - على مساحة الورق، ويشمل ذلك طريقة تصميم الغلاف، ووضع المطالع، وتنظيم الفصول، وتغييرات الكتابة المطبعية وتشكيل العناوين، وغيرها"⁽²⁾.

وقد اهتم "ميشال بوتور M. Buttor" بالفضاء النصي اهتماماً كبيراً، وهو لم يهتم بالرواية وحدها، بل نظر لفضاء النص بالنسبة لأي مؤلف، فنجدته يقدم تعريفاً هندسياً للكتاب إذ يقول: "إن الكتاب، كما نعهده اليوم، هو وضع مجرى الخطاب في أبعاد المدى الثلاث، وفقاً لمقياس مزدوج هو طول السطر، وعلو الصفحة"⁽³⁾.

أما البعد الثالث الذي يتحدث عنه فهو سمك الكتاب الذي يقاس عادة بعدد الصفحات.

(1) فتحة كحلوش، بلاغة المكان، مرجع سابق، ص23، نقلا عن محمد بنيس، الشعر العربي الحديث بنياته وإبدالاتها، دار تويقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1990، ص111.

(2) حميد لحميداني، بنية النص السردي، مرجع سابق، ص55، نقلا عن H.Mitterand, Le discours du roman, P.U.F, 1980, P 192.

(3) المرجع نفسه، ن ص، نقلا عن ميشال بتور، بحث في الرواية الجديدة، تر فريد أنطونيوس، منشورات عويدات، بيروت، ط1، 1971، ص112.

بالإضافة إلى ذلك نجده يتحدث عن مجموعة من المظاهر التي تشكل فضاء النص وهي: الكتابة الأفقية، الكتابة العمودية، الهوامش، الرسوم والأشكال، الصفحة ضمن الصفحة، ألواح الكتابة، الفهارس⁽¹⁾.

وعلى الرغم من أن الفضاء النصي لا يرتبط ارتباطاً وثيقاً بمضمون الحكى إلا أنه لا يخلو من الأهمية إذ يمكنه تحديد طبيعة تعامل القارئ مع النص مما يؤدي إلى فهم خاص للعمل.

إذا فالفضاء النصي هو كذلك فضاء مكاني ذلك أنه لا يتشكل إلا عبر مساحة معينة متمثلة في الكتاب، إلا أنه مكان محدود ولا علاقة له بالمكان الذي تتحرك فيه الشخصيات، فهو بذلك فضاء الكتابة الروائية.

4 - الفضاء كمنظور أو كروية:

يتعلق هذا الفضاء بموضوع زاوية الرؤية عند الراوي، والتي يقدم بها عالمه الروائي، إذ تقول "كريستيفا J. Kristéva": "هذا الفضاء محوّل إلى كلِّ، إنه واحد وواحد فقط، مراقب بواسطة وجهة النظر الوحيدة للكاتب التي تهيمن على مجموع الخطاب بحيث يكون المؤلف بكامله متجمعا في نقطة واحدة، وكل الخطوط تتجمع في العمق حيث يقبع الكاتب، وهذه الخطوط هي الأبطال الفاعلون (Les actants) الذين تنسج الملفوظات بواسطتهم المشهد الروائي"⁽²⁾.

فالراوي هو الذي يدير حركات الأبطال والأشياء في العالم الروائي وفقا لخطة مرسومة، فالفضاء هنا يشبه الخطة العامة للراوي أو الكاتب في إدارة الحوار، وإقامة الحدث الروائي

(1) حميد لحميداني، بنية النص السردي، مرجع سابق، ص56، نقلا عن ميشال بتور، بحث في الرواية الجديدة، ص 115-122-127-128-130-131.

(2) المرجع نفسه، ص61، نقلا عن J.Kristeva, le texte du roman, p186.

بواسطة الأبطال، حتى أن "كريستيفا J. Kristéva" تشبه الرواية في هذه الحالة بالواجهة المسرحية⁽¹⁾.

يتضح لنا من خلال ما سبق تقديمه أن كلا من الفضاء الدلالي وكمنظور له مجاله الخاص به، إذ أن الأول يعنى بالصورة في الحكى الروائي بينما يعنى الثاني بزواية النظر عند الروائي أو الكاتب، في حين نجد أن الفضاء الجغرافي هو الفضاء الأقرب إلى العالم الواقعي ذلك أنه الفضاء الذي تتحرك فيه الشخصيات الروائية أو يتخيل أنها كذلك، أما الفضاء النصي فيعد كذلك فضاء مكانيا غير أنه متعلق فقط بالمساحة الورقية التي تشغلها الكتابة الروائية.

وكنا قد أشرنا سابقا إلى أن الفضاء الجغرافي هو الحيز المكاني في الرواية، وقد اهتمت به عديد الدراسات السردية لأهميته في تأسيس السرد وإعطاء الخيال مظهرا حقيقيا، لذا سنحاول التطرق إليه من خلال رواية الأرض والدم، مقسمين إياه إلى قسمين: فضاء مفتوح ومغلق.

III- تصنيف الفضاء الجغرافي:

أولا -الفضاء المفتوح: تطلق سمة الانفتاح في الدراسات السردية على الأمكنة العامة التي يتردد عليها الناس في مختلف الأوقات "دون قيد أو شرط"⁽²⁾ كالشوارع والمدن والطرق والقرى وغيرها.

وقد أشار "حسن بحراوي" إلى أهمية هذا النوع من الأمكنة، حيث إنه قال بأن هذا النوع من الأفضية سيمدنا -لامحالة- "بمادة غزيرة من الصور والمفاهيم التي ستساعدنا على

(1) حميد لحميداني، بنية النص السردية، مرجع سابق، ص61، نقلا عن J.Kristeva, le texte du roman, p185.
 (2) عبد القادر رحيم، بنية النص السردية في روايات ابراهيم سعدي، أطروحة دكتوراه، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 1436هـ-1437هـ/2015-2016م، ص182، نقلا عن فهد حسين، المكان في الرواية البحرينية، فراديس للنشر والتوزيع، مملكة البحرين، ط1، 2003م، ص80.

تحديد السمة أو السمات الأساسية التي تتصف بها تلك الفضاءات، وبالتالي الإمساك بما هو جوهري فيها، أي مجموع القيم والدلالات المتصلة بها⁽¹⁾

ولتبيين القيم والدلالات التي تحدث عنها حسن بحراوي، سنحاول تناول أهم الأفضية المفتوحة التي تناولتها رواية الأرض والدم، والتي ستكون على النحو التالي:

1 - الشارع:

احتل الشارع في الرواية العربية من قبل الروائيين الذين كتبوا روايات عن المدن العربية مكانا بارزا في الرواية العربية، وكانت له جمالياته المختلفة، باعتباره مسارا وشريانا للمدينة وفي الوقت نفسه المصب الذي يصب فيه الليل والنهار أشغالهما وتجلياتهما، فهو المسار والمصب في آن واحد⁽²⁾.

كما يمثل الشارع أيضا أحد العلامات المكانية البارزة في المدينة فهو "الخط الفاصل بين عالمين عالم السر، وعالم الجهر.. إذ عند البيوت والمنازل ينتهي عالم الناس السري، ويبدأ عالمهم العلني، حيث يبدأ الشارع وحين تنكشف الأسرار وتعلن الأعماق عن خفاياها.. إنه الشارع النابض بالحياة"⁽³⁾.

وقد اهتم مولود فرعون بوصف الشوارع والأزقة نظرا لأهميتها في تشكيل صورة المدينة، لذلك نجده قد ركز على استعراض التفاصيل الطبوغرافية للمكان والتي ستساعدنا في معرفة أهم السمات التي يتسم بها، فننتعرف من خلالها على أهم الدلالات التي يقوم عليها.

"A la sortie de la gare stationnaient une invraisemblable multitude de fiacres, omnibus, charrettes, voitures de toutes sortes,

(1) عبد القادر رحيم، بنية النص السردي في روايات ابراهيم سعدي، مرجع سابق، ص182-183، نقلا عن حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، ط2، 2009م، ص79.

(2) شاعر النابلسي، جماليات المكان في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1994م، ص65-66.

(3) هنية جوادي، صورة المكان ودلالاته في روايات واسيني الأعرج، رسالة دكتوراه العلوم، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2012-2013م، ص110، نقلا عن أحمد زبير، جماليات المكان في قصص إلياس الخوري، دراسة نقدية، التنوخي للطباعة والنشر، الرباط، ط1، 2009م، ص46.

et même des automobiles! Et puis, quel monde! des enfant, des hommes, des femmes qui semblaient tous pressés et avoir un
"but bien déterminé qu'il fallait atteindre rapidement"⁽¹⁾.

" وفي مخرج المحطة تقف قوافل لا حصر لها من عربات الكراء، والعربات اليدوية! كم هي غفيرة هذه الأعداد من الناس! أطفال ورجال ونساء يبدو أنهم جميعا عجالى"⁽²⁾.

ففي هذا النص نجد صفتي الحيوية والنشاط، ذلك أن الحياة في المدن الكبرى - خاصة الغربية - تختلف عنها في المدن الصغيرة والقرى، كما تلعب الكثافة السكانية دورا بارزا في زيادة حدة النشاط مما يولد كثرة الحركة والضوضاء، فالشوارع في البلدان الغربية تمتاز بكثرة الحركة والانتساع على خلاف الشوارع العربية التي لها صفة السلبية والضيق والقنامة

Amer se retrouva dans la ruelle vide qu'il remonta vers la djema "
L'ombre des maisons voilait les dalles, les rigoles, les creux et
les bosses"⁽³⁾.

" وجد عامر نفسه في الزقاق الخالي الذي يصعد إلى تاجماعت، وكان ظل البيوت يستر البلاط، والمجاري، والحفر والتنوعات"⁽⁴⁾.

ونجد الروائي يتناول هذا المقطع أيضا ليشير إلى صفة أخرى وهي "الاكتظاظ" فخاصية الاكتظاظ البشري تطبع شوارع وساحات المدينة وذلك من خلال بعض الملفوظات الوصفية: قوافل لا حصر لها من عربات الكراء، السيارات على مختلف أنواعها.

ويواصل الروائي وصفه لكثرة الحركة في باريس واكتظاظها بالسكان ليس فقط خارج المحطة، ولكن في معظم شوارعها " **Ils s'engagèrent dans le métro et**

(1) Mouloude FERAOUN, La Terre et le sang, Editions Talantikit, Bejaïa, 2002, p 45.

(2) مولود فرعون، الأرض والدم، تر عبد الرزاق عبيد، دار تالانتيكيت للنشر والتوزيع، بجاية، دت، ص61.

(3) Mouloude FERAOUN, La Terre et le sang, p 171.

(4) مولود فرعون، الأرض والدم، ص239.

débouchèrent quelques instants après sur un large boulevard aussi animé, aussi tumultueux que la gare. Amer suivait ses compagnons qui semblaient partager son malaise et son indécision. Ils prirent une artère moins fréquentée puis montèrent une petite rue, tournèrent encore à d'autres croisements et s'arrêtèrent enfin devant un vieil hôtel haut et étroit.⁽¹⁾ Ils y entrèrent

" اندلفوا في قطار الأنفاق ليخرجوا منه بعد وقت معين في شارع لا يقل حيوية وجلبة عن المحطة.. ثم انحنوا زقافا أقل حركة، وصعدوا طرقا صغيرة وانحنوا مرة أخرى نحو ملتقيات أخرى، ثم توقفوا أخيرا أمام نزل قديم ضيق وشاهق، فدلّفوا فيه"⁽²⁾.

وبعدما وصل عامر إلى محطة القطار بليون بعد تعب وجد نفسه تأثها بين الحشود الكبيرة في المحطة والتي لم ير مثيلا لها في حياته، فأحس بالتيه وخاف من الضياع وسط تلك الجماهير الغفيرة وتلك الضوضاء " Dès son arrivée à la gare de Lyon, après une nuit blanche dans le train, il constata que ses compagnons ne l'abandonnaient pas. Mais il se voyait perdu dans une inimaginable cohue, dans un enfer de rumeurs, de bruits, perdu dans la foule grouillante de tout un peuple qui s'éveillait, Il eut beaucoup de mal à ne pas s'égarer"⁽³⁾.

" بمجرد أن وصل إلى محطة القطار بليون، بعد قضاء ليلة ليلاء لاحظ أن مرافقيه لم يتخلوا عنه، ووجد نفسه تأثها في حشود لا يمكن تخيلها، أتون من الضوضاء والجلبة،

(1) Mouloude FERAOUN, La Terre et le sang, p 45.

(2) مولود فرعون، الأرض والدم، ص61.

(3) Mouloude FERAOUN, La Terre et le sang, p 44.

ضاع في الجماهير الزاخرة لمجتمع قد استيقظ بأكمله، فعانى عناء كبيرا خوفا من
الفقدان" (1).

وتجسد صورة اتساع الشوارع بفرنسا وكثرة الحركة بها، بالإضافة إلى الاكتظاظ رؤية
الشخصية الرئيسية لشارع المدينة والذي يعد حسب تصورنا مكانا يستقطب جميع الناس من
مختلف الأعمار والفئات الاجتماعية، وهو بذلك المسرح الذي تعرض فيه العلاقات
الاجتماعية المتمثلة في مختلف فئات المجتمع.

2 - البنايات (الدور والعمارات):

إن البنايات والدور عند " فرعون " لا تقل أهميتها عن أهمية الشوارع، وسنبداً باستخراج
مواصفاتها وصولاً إلى التعرف على مجموع القيم والدلالات التي تنهض بها هذه المواصفات.

Ils habitaient au bout d'une rue bien droite, bordée de "
maisons de briques toutes identiques, hautes, sombres et
tristes mais qui parurent imposantes au petit Kabyle" (2).

" كان القبائل يقطنون في طريق مستقيمة تماماً وبجوارها دور متشابهة من القرميد،
مرتفعة وداكنة وحزينة، ولكنها تبدو ضخمة جداً في عيني القبائلي الصغير" (3).

فقد أمدنا هذا النص بإحدى السمات التي تميز البناية في فرنسا، فهي وحسب النص
تمتاز بالقدم، وقد أحالتنا على ذلك بعض الملفوظات الوصفية كقوله: متشابهة من القرميد،
فهذه الصفات تحيل إلى قدم المباني الفرنسية التي كان يسكنها العرب في فرنسا، حيث إن
القرميد قد استعمل في عهود قديمة، وما يزيد في تبيان قدم تلك الدور ذلك اللون الداكن

(1) مولود فرعون، الأرض والدم، ص61.

(2) Mouloude FERAOUN, La Terre et le sang, p 47.

(3) مولود فرعون، الأرض والدم، ص64.

الدال على قدمها نتيجة قدم طلائها، فهي لم تدهن من مدة طويلة حتى أدى ذلك إلى قتامة لونها مما جعلها حزينة المنظر كثيبة لشدة قدمها، فلا تسر عين الناظر أو المار بجوارها.

فقد بين الكاتب من خلال وصفه لمكان سكنى القبائل في فرنسا إلى تدهور الأوضاع الصعبة التي يعيشها القبائلي أثناء تواجده بها وهو الذي كان يحلم بعيشة رغدة ليعيل أهله الذين ينتظرونه في قريته.

3 - الحقول الباريسية:

لطالما نظر العربي إلى البلاد الغربية على أنها بلد الأحلام نظرا لجمالها الأخاذ وطبيعتها الساحرة، فهي في اعتقاده من سيزيل همومه كلها ويقضي على فقره " **Notre parisienne qui connaissait les jardins de la capital et qui avait passé son enfance en banlieue, n'ignorait aucun des charmes de la belle saison: oiseaux, fleurs, verdure, sans compter ce que chacun sait conventionnellement grâce aux livres qu'on a pu lire dès l'enfance. Néanmoins ses oiseaux de France se ressemblaient tous, ses fleurs étaient des corolles vives cultivées avec amour, disposées artistiquement, ses légumes étaient des massifs géométriques, des carrés de légumes cultivés avec soin ou des bois touffus, sertis de routes goudronnées: une nature embellie par l'artifice, guindée et élégante comme une femme discrètement poudrée dans sa tenue de sortie**"⁽¹⁾.

(1) Mouloude FERAOUN, La Terre et le sang, p 36-37.

" وبارسيتنا التي كانت تعرف بساتين العاصمة الفرنسية والتي قضت طفولتها بضواحيها لا تجهل الفتنة الساحرة للفصل الجميل: العصافير والأزهار والاختضار، دون أن نحسب مايعرفه كل واحد منا تواترا بفضل الكتب التي استطعنا قراءتها بدءا من سنوات الطفولة، ومع ذلك فإن جميع عصافير فرنسا متشابهة، وتيجان أزهارها ذات ألوان زاهية، ومزروعة بحب، ومرصوفة بطريقة فنية، واختضارها من الأشجار المشذبة هندسيا، ومن مربعات البقول المزروعة بعناية، وغاباتها كثيفة مرصعة بطرق مزفتة: طبيعة مزدانة اصطناعيا، ومتصنة ورشيقة كامرأة بملابس خروجها، ومساحيقها المحتشمة"⁽¹⁾.

تحيلنا هذه المواصفات للحقول الباريسية إلى اتساع الحقول الباريسية وكثرة جمالها، حتى أضحت مثل الفتاة المتبرجة المهتمة بجمالها، فالغربيون عامة والفرنسيون خاصة يهتمون بنظافة وجمال حقولهم مما يزيد البلاد جمالا وتحضرا على خلاف الجزائريين الذين لا يهتمون كثيرا بذلك.

4- السجن:

يعتبر السجن هو الآخر مكانا من الأمكنة التي تجسد المدينة فهو مرتبط بها، لكنه على خلاف الأمكنة الأخرى هو المكان العدائي للشخصية من خلال انغلاقه وضيقه وظلمته وبشاعته " وإذا كانت حرية الإنسان هي جوهر وجوده والقيمة الأساسية لحياته فإن السجن هو استلاب لهذه الحرية، وبالتالي فهو استلاب للوجود وإهدار للحياة"⁽²⁾.

ونظرا لآثار السلبية الكبيرة التي يتركها السجن في النفس، فقد احتل مكانة بارزة في الرواية، ولم يعنى الروائيون العرب بمكان عناية جمالية كبيرة، كما اعتنوا بالسجون، وقد

(1) مولود فرعون، الأرض والدم، ص48.

(2) هنية جوادي، صورة المكان ودلالاته في روايات واسيني الأعرج، مرجع سابق، ص191، نقلا عن مصطفى التواتي، دراسة في روايات نجيب محفوظ، اللص والكلاب، الطريق، الشحاذ، دار الفارابي، بيروت، ط3، 2008، ص106-107.

كتب أغلبهم عن هذا المكان من خلال تجربة واقعية خاصة، وهذا التفرد في الوقت ذاته في وصف السجون كأمكنة روائية لها جمالية فنية⁽¹⁾.

ويصف "عامر" أيام تواجده في السجن (المعتقل) بصفته سجين حرب، فقد عانى عامر كثيرا ومر بأوقات صعبة خلقت له حالة نفسية متدهورة شعر خلالها بقرب أجله " **Dès le début de septembre, les Allemands, qui avaient envahi la France, le trouvèrent à Douai. Il fut capturé avec quelque jeunes compatriotes et expédié en Allemagne, comme prisonnier de guerre. Il connut plusieurs camps, le travail forcé et les coups. Il passa cinq années dans un pays maudit, une plaine glacée et brumeuse, ou il crut laisser ses os. Et pourtant, il en revint !** " ⁽²⁾.

" وجده الألمان الذين غزوا فرنسا في بداية شهر سبتمبر ب:دووي، وألقي القبض عليه مثله مثل كثير من مواطنيه، وسجن بألمانيا بصفته سجين حرب، وعرف هناك عديد المحتشدات، والأعمال الشاقة، والضربات الموجعة، وقضى خمس سنوات في بلد لعين، سماؤه داكنة، وسهوله متجمدة، خيل له أنه سيقضي نحبه فيه، ومع ذلك عاد"⁽³⁾.

فقد نتج عن تواجده "عامر" بالسجن في ألمانيا ضغط نفسي كبير أحس خلاله البطل بالألم والمرارة والشتات، ولم يقتصر هذا الألم على تواجده بالسجن فقط بل امتد إلى بعد خروجه، فالسجن يحمل عديد الدلالات السلبية إذ إنه مكان سلبي يقضي على حرية الشخصية، فيجعل حياتها مملة وتعبية فيه لذلك يعتبر مكانا مكروها يثير الإحساس بالضيق والاستلاب.

(1) شاعر النابلسي، جماليات المكان في الرواية العربية، مرجع سابق، ص107.

(2) Mouloude FERAOUN, La Terre et le sang, p 59.

(3) مولود فرعون، الأرض والدم، ص81.

ونظرا لانشغال الروائي بالتاريخ الوطني، فقد ربط السجن هنا بالاستعمار، حيث إن فرنسا قد قامت بتجنيد المهاجرين الجزائريين من أجل المشاركة في حربها مع ألمانيا.

ثانيا - الفضاء المغلق:

المكان المغلق هو كل مكان محدود من حيث المساحة والمكونات⁽¹⁾ كالغرفة والبيت والمطعم والمقهى، ولا تكاد تخلو رواية من ذكر بعض الأمكنة المغلقة، لذلك فهي تكتسب أهمية بالغة في الأعمال الروائية.

1 - الغرفة:

تعتبر الغرفة جزءا لا يتجزأ من البيت هذا الأخير الذي يعد مأوى تأوي إليه جميع المخلوقات من أجل الراحة والاستقرار، فالبيت إذا هو "ليس مجرد مكان نحيا ونسكن فيه وإنما هو جزء من كياننا ووجودنا الإنساني"⁽²⁾ لذلك فقد جعل له غاستون باشلار جسدا وروحا وعده "عالم الإنسان الأول الذي يتيح له أن يحلم بهدوء"⁽³⁾. كما يذهب إلى أن البيت هو الذي "يخلق استمرارية للإنسان في الحياة، وبدونه يصبح الإنسان كائنا مفتتا"⁽⁴⁾.

وعلى الرغم من أهمية البيت في حياة الإنسان إلا أن الغرفة الموجودة فيه والتي تعد مكونا من مكوناته قد تحمل دلالات سلبية كالضيق والوسخ " **Ils avaient une chambre au premier: une longue pièce au plafond enfumé, avec une fenêtre sur le pignon et une autre sur la façade. Sur le parquet sale et gluant s'alignaient trois lits. Au fond il y avait une vieille armoire, un matelas plié et tout autour des ballots de linge, des**

(1) عبد القادر رحيم، بنية النص السردي في روايات إبراهيم سعدي، مرجع سابق، ص209، نقلا عن فهد حسين، المكان في الرواية البحرينية، فراديس للنشر والتوزيع، البحرين، ط1، 2003م، ص163.

(2) هنية جوادي، صورة المكان ودلالاته في روايات واسيني الأعرج، مرجع سابق، ص178، نقلا عن غادة الإمام، جاستون باشلار، جماليات الصورة، التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2010م، ص290.

(3) ينظر، غاستون باشلار، جماليات المكان، تر غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 1404هـ- 1984م، ص37-38.

(4) المرجع نفسه، ص38.

couvertures. Près de la porte une petite table pleine de vaisselle, à coté d'un poêle en fonte. C'était là qu'ils se retrouvaient ou se relayaient pour se laver, manger et dormir, chaque jour, après le travail⁽¹⁾.

" ولديهم غرفة في الطابق الأول: وهي غرفة طويلة دخاء السقف بها نافذة في أعلى الجدار المثلث الملاصق للسطح، وأخرى تطل على الواجهة وعلى أرضيتها العفنة اللزجة تقاطر ثلاثة أسرة، وفي المؤخرة خزانة قديمة، وحشية مطواة، وعلى جميع الجوانب أكياس الملابس والأغطية، وبالقرب من الباب طاولة صغيرة تكدست عليها الأواني المنزلية، وبجانبها مدفأة من الحديد المسبوك، ذاك هو المكان الذي يتواجدون فيه أو يتداولون فيه على الغسل والأكل والشرب"⁽²⁾.

يحلينا هذا النص إلى مجموعة من الدلالات السلبية التي امتازت بها الغرفة التي كان يسكنها القبائليون في فرنسا إذ كانوا يعودون إليها بعد يوم شاق من أجل الراحة والاسترخاء، ولعل أهم صفة تمتاز بها غرفتهم صفة الضيق والاتساح، حيث أشار الراوي في مطلع النص إلى أنهم يملكون غرفة واحدة على الرغم من كثرة عدد العمال الجزائريين، وما زاد في إبراز مدى ضيقها تقاطر الأسرة الثلاثة، بالإضافة إلى اتساحها كونها قديمة حتى أن سقفها قد تغير لونه وأصبح داكنا من شدة القدم، كأنهم يعيشون في زنزانة أرضها متسخة والأثاث بها قديم، ومما يزيد في وحشية الغرفة اكتظاظها بأكياس الملابس والأغطية بالإضافة إلى تكدس الأواني على طاولة صغيرة، ووجود مدفأة من الحديد بجانبها، هكذا كان القبائليون يعيشون في بلاد غير بلادهم يعانون الأمرين من أجل إعانة ذويهم.

(1) Mouloude FERAOUN, La Terre et le sang, p 47.

(2) مولود فرعون، الأرض والدم، ص 64-65.

وبعدما رجع "عامر" من السجن بعد خمس سنوات أراد البحث عن غرفة يسكن فيها، فذهب إلى نزل السيدة "غاريت" لكنه لم يجد غرفة وذلك لكون نزلها يعج بالسكان وقد كان
Amer cherchait une chambre. Madame Garet " شمال إفريقيا "
avait un petit hôtel de vingt-quatre «clés». **Toutes les pièces**
étaient occupées par des Nord-Africains. Mais aucun Kabyle.
Des gens ignares, plus ou moins noirs de peau, laids, mal
vêtus, mal dégrossis, ne parlant que leur arabe guttural et
"enroué"(1).

" كان عامر يبحث عن غرفة. وكان للسيدة غاريت نزل بأربع وعشرين "مفتاحا" جميع
 غرفه يقطنها أناس من شمال أفريقيا. وليس من بينهم قبائلي واحد. رجال أميون وسود
 البشرة نسيبا، دميمون، رثوا الملابس والهيئة، بَدَن لا يتكلمون سوى لغتهم العربية
 الحنجرية الباحة"(2).

يحمل هذا النص بين طياته عديد الدلالات، فقد صور الروائي الحالة التي يبدو عليها
 سكان النزل إذ أنهم يختلفون عن سكان فرنسا في البشرة والثقافة فهو أناس أميون وسود
 البشرة بالإضافة إلى أنهم فقراء حيث وصفهم الروائي بأنهم رثوا الملابس لذلك يسكنون نزلا
 من الدرجة الثالثة يتصف بالاكتماظ.

والغرفة التي كان يسكنها "عامر" مع زوجته "ماري" في فرنسا لا تختلف عن حال كوخ
 كمومة في قرية إيغيل نزمان من حيث القدم والاتساخ والضيق " **Quant à la bicoque**

(1) Mouloude FERAOUN, La Terre et le sang, p 60.

(2) مولود فرعون، الأرض والدم، ص84.

de Kammouma, elle ne vaut guère mieux que la chambre
meublée n°4"⁽¹⁾.

"كوخ كمومة فإن الغرفة المجهزة رقم 4 ليست أحسن حالا منه"⁽²⁾.

2- المنجم:

نظرا للظروف القاسية التي كان يعيشها الجزائريون إبان الثورة لم يجد الشباب الجزائري من حل سوى الهجرة إلى فرنسا من أجل إعالة ذويهم المحتاجين، فطمعوا في العيش الرغد إلا أنهم تفاجؤوا بصعوبة العيش وصعوبة ظروف العمل، فقد تفاجأ "عامر" بعد وصوله إلى مكان عمله بفرنسا بفضاعة المنجم فكأنه يشبه المغارة في ظلمته وعمقه " **Amer ne peut pas oublier les émotions des première descentes, l'ouverture noire et béante du puits, le signal du départ qui déchire le cœur, la machine qui siffle, le câble qui se déroule, les murs qui suintent, les trous noirs des galeries, la chaleur qui devient de plus en plus insupportable, au fur et à mesure que l'on s'enfonce**"⁽³⁾.

"لا يمكن لعامر أن ينسى مشاعره يوم نزوله أول مرة، كما لا ينسى فوهة البئر السوداء، وزمارة الانطلاق التي تمزق القلوب، وأزيز الآلات، والتواء الحبال المعدنية، والجدران التي تنضح ماء، والثقب السوداء للأروقة، والحرارة التي تصبح شيئا فشيئا لا تطاق كلما ازداد عمقا"⁽⁴⁾.

(1) Mouloude FERAOUN, La Terre et le sang, p 39.

(2) مولود فرعون، الأرض والدم، ص 52.

(3) Mouloude FERAOUN, La Terre et le sang, p 49.

(4) مولود فرعون، الأرض والدم، ص 67.

يكتسب المنجم في هذا النص دلالة العتمة والعمق الشديد بالإضافة إلى تدمير العمال من صوت الآلات القوي والمزعج، وكذلك الارتفاع الشديد في درجة الحرارة كلما ازداد المنجم عمقا، فهذه المواصفات كلها تدل على ظروف العمل الصعبة التي يعيشها الجزائريون في البلاد الغربية (فرنسا) من أجل جلب لقمة العيش، فلا يمكن لأحد تحمل كل تلك الظروف إلا للضرورة القصوى كما هو حال العمال الجزائريين.

3 - المقهى:

يعتبر المقهى في الرواية العربية مكانا جماليا مطروقا إليه ولعل تكرار وصف جماليات المقهى كمكان في الرواية يعود إلى أسباب اجتماعية بشكل رئيسي، حيث ضاقت البيوت بأصحابها نتيجة لزيادة عدد أفراد الأسرة الواحدة، ولم يعد أمام رب البيت من متنفس غير المقهى، يلتقي فيه مع أصحابه يسمرون فيه ويقضون في وقت فراغهم، ويجلسون فيها يتحدثون ويتناقشون ويتأملون في مختلف ميادين الحياة⁽¹⁾.

فالمقهى يمثل بؤرة اجتماعية لها دلالاتها الخاصة في الرواية العربية، والتي وجدت في هذا المكان علامة دالة على الانفتاح الاجتماعي والثقافي، وأنموذجا مصغرا لعالمنا⁽²⁾.

ويبدو المقهى في رواية "الأرض والدم" مكانا مألوفا ومحبويا من قبل وافديه وبخاصة العمال الجزائريون، إذ إن العمال الجزائريين قد تعودوا على ألفته وحميميته فأضحى في نظرهم المتنفس الوحيد الذي يصبون فيه كل عناء النهار فيجلسون فيه ويشعرون بنوع من الراحة والطمأنينة ويتجادبون أطراف الحديث، حتى تسمع ضحكاتهم وقهقهاتهم من بعيد، وذلك ما يمددهم بمزيد من الاحتمال لمواجهة الحياة اليومية الصعبة والشاقة، بالإضافة إلى كل ذلك فإنهم يستقبلون العمال الجدد بكل حفاوة مثلما حدث "العامر" " Dans la salle du rez-de-chaussée qui était un café. Amer vit des gens

(1) ينظر شاعر النابلسي، جماليات المكان في الرواية العربية، مرجع سابق، ص194.

(2) المرجع نفسه، ص195.

d'Ighil-Nezman qu'il hésita à reconnaître. C'étaient bien eux pourtant. Son visage s'épanouit. Les nouveaux venus furent accueillis avec des sourires protecteurs. Ils s'assirent tous autour d'une table, commandèrent à boire et se mirent à parler. De se voir parmi les siens dans cette petite salle obscure, de les entendre rire franchement, parler haut et en kabyle, Amer sentit une bouffée de bien-être s'exhaler de sa gorge et l'envelopper tout doucement.⁽¹⁾

" شاهد عامر في قاعة الطابق الأرضي منه، والذي كان مقهى في الآن نفسه بعض الأفراد من ايغيل نزمان، فتردد في معرفتهم، على الرغم من أنهم هم أنفسهم، انشرح وجهه، واستقبل القادمون الجدد بالابتسامات والترحيب، وجلس الجميع حول طاولة، وطلبوا بعض المشروبات وأخذوا يتجادبون أطراف الحديث، أحس عامر بنفحة من السعادة تنبعث من صدره، وتغمره بتأدة وذلك حينما رأى نفسه بين ذويه في هذه القاعة المظلمة وهم يضحكون ويقهقهون، ويرفعون أصواتهم عاليا بالقبائلية"⁽²⁾.

مما سبق يتضح لنا أن الفضاء في رواية "الأرض والدم" يظهر من خلال مجموعة من الدلالات الجمالية والتي صور لنا من خلالها الروائي السمات البارزة في فضاء الآخر المختلف عنا، و يظهر جليا أن فضاء الآخر في رواية الأرض والدم يشبه كثيرا الفضاء العربي، لاشتراك الفضاءين في الاتساق والضيق، وكلها دلالات على سوء المعاملة التي يعامل بها المهاجرون العرب إلى فرنسا تحديدا.

(1) Mouloude FERAOUN, La Terre et le sang, p 45.

(2) مولود فرعون، الأرض والدم، ص62.

III- صورة الآخر باعتبارها فضاء اجتماعيا وثقافيا:

تعد دراسة الصورة الأدبية أو الصورولوجيا **Imagologie** أحد فروع الأدب المقارن، وهي تحتاج مثله إلى أدوات الناقد من معرفة بالعلوم الإنسانية (التاريخ، علم الاجتماع، النفس)، والمناهج النقدية الحديثة، كما تحتاج إلى مؤهلات ذاتية كالذوق والحساسية وغير ذلك، من أدوات تساعد على تلمس الجمال⁽¹⁾.

وقبل الولوج إلى دراسة صورة الآخر الغربي باعتباره فضاء اجتماعيا وثقافيا ونبين الاختلاف بينه وبيننا ارتأينا أولا التعرف أكثر على ماهية الصورة الأدبية وكيف تناولها النقاد والدارسون.

أولا- تعريف الصورة الأدبية:

1- تعريف الصورة لغة:

جاء في معجم مقاييس اللغة أن لفظ الصورة مشتق من الفعل الثلاثي صور، والصورة صورة كل مخلوق، والجمع صور، وهي هيئة خُلِقَتْه، والله تعالى البارئ المصور، ويقال رجل صيّر إذا كان جميل الصورة⁽²⁾.

أما في مختار الصحاح فالصورة من الفعل صوره تصويرا، فتصور وتصورت الشيء توهمت صورته، فتصور لي، والتصاوير التماثيل⁽³⁾.

فالصورة في اللغة العربية تدل على خلقة الإنسان أي الهيئة التي ولد عليها، كما تدل كذلك على الصورة المتخيلة والتي يتوهمها الإنسان في ذهنه عن شيء ما.

(1) ماجدة حمود، صورة الآخر في التراث العربي، منشورات الاختلاف، الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 1431هـ-2010م، ص9.

(2) أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1422هـ-2001م، ص557.

(3) محمد بن بكر الرازي، مختار الصحاح، مرجع سابق، ص373.

وقد وردت لفظة الصورة في القرآن الكريم بمعنى الشكل أو الدلالة على التجسيم في قوله تعالى: "الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (7) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ (8)" (1) وقوله تعالى: "اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ" (2).

فالله خالق كل شيء وهو الذي صورنا في أحسن صورة.

وتقابل لفظة الصورة في اللغة العربية لفظتي **Image** و **Forme** في اللغة الفرنسية والانجليزية، ولفظتي **Imago** و **Forma** في اللاتينية، وهي في اللغة الشكل والصفة والنوع، ولها في عرف العلماء عدة معانٍ، فهي الشكل الهندسي **Figure géométrique** المؤلف من الأبعاد التي تتحدد بنهايات الجسم، كصورة الشمع المفرغ في القالب ومن صورة التمثال، فهي تدل على الأوضاع الملحوظة في الأجسام كالاستدارة والاستقامة والاعوجاج، كما تعني كذلك النوع فيقال هذا الأمر على ثلاث صور أي على ثلاثة أنواع ويقال صور الإنتاج أي أنواعه (3).

فالصورة تدل على الشكل الخارجي الظاهر للعيان والذي يحدد هيئة الأجسام وأبعادها. أما الصورة الأدبية فهي ما ترسمه مخيلة الأديب باستخدام اللفظ، كما ترسمه ريشة الفنان وتكون متأثرة بحالة الأديب النفسية إما بهيجة أو كئيبة يبتعثها الأديب من خاطره وذهنه، فتجيء مادية محسوسة أو معنوية ذهنية وهي التي يعنى بها علم الجمال، وتخلق الصورة الأدبية تخلق في النص جمالا وجذبا أقوى من الكلام العادي، لأن الصورة تغني الفكرة وتحرك القارئ وتنقله إلى أجواء أرفع من أجواء الواقع (4).

تعنى الصورة الأدبية عند الأديب بالتشبيه والاستعارة مما يزيد في جمال النص.

2- تعريف الصورة اصطلاحاً:

(1) سورة الانفطار، الآية 7-8.

(2) سورة غافر، الآية 64.

(3) ينظر، جميل صليبا، المعجم الفلسفي، مرجع سابق، ج1، ص741.

(4) محمد التونجي، المعجم المفصل في الأدب، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1، ط2، 1419هـ-1999م، ص591.

لقد اختلف النقاد القدامى والمحدثون حول أصالة مصطلح الصورة، فمنهم من عدّها من المصطلحات النقدية الوافدة التي ليس لها جذور في النقد العربي ومنهم من نظر إليها على أنها مصطلح عربي تراثي أصيل⁽¹⁾.

ولعل أقدم نص ورد فيه ذكر الصورة هو قول الخليل بن أحمد الفراهيدي: "الشعراء أمراء الكلام يصرفونه أنى شاءوا ويجوز لهم ما لا يجوز لغيرهم من إطلاق المعنى وتقييده ومن تصريف اللفظ وتقييده... فيقربون البعيد ويبعدون القريب ويحتج بهم ولا يحتج عليهم ويصورون الباطل في صورة الحق والحق في صورة الباطل"⁽²⁾.

وبشير الفراهيدي في هذا النص إلى قدرة الشعراء على إبداع صيغ فنية تثير حس المتلقي، وذلك من خلال التشبيه والتمثيل والأساليب البيانية الأخرى.

وقد ورد مصطلح التصوير عند الجاحظ في قوله: "إنما الشعر صناعة وضرب من النسيج وجنس من التصوير"⁽³⁾.

والملاحظ على قول الجاحظ أنه يجعل الشعر مقرونا بالرسم، وبذلك فإنه يقدم المعاني تقدّماً حسياً عن طريق حسن نسج الألفاظ وتداخل اللفظ والمعنى حتى تبرز في المخيلة بشكل حسي.

ويعد الجاحظ الرائد في توثيق الصلة بين الشعر والفنون التصويرية، لذلك يمكن عدّ "التصوير الجاحظي خطوة نحو التحديد الدلالي لمصطلح الصورة"⁽⁴⁾.

وتبرز الصورة عند ابن طباطب في شكل حسي كالشكل والحركة واللون والصوت وهو يتحدث عن أنواع التشبيهات إذ يقول: "والتشبيهات على ضروب مختلفة، فمنها تشبيهه

(1) عبد اللطيف يوسف عيسى، الصورة الفنية في شعر ابن زيدون، دراسة نقدية، دار غيداء للنشر والتوزيع، ط1، 1431هـ-2011م، ص20.
(2) المرجع نفسه، ص 20-21، نقلاً عن منهج البلغاء، لأبي الحسن حازم القرطاجني، تح محمد الحبيب بن الخوجة، منشورات دار الكتب الشرقية، تونس، 1996، ص144.

(3) المرجع نفسه، ن، ص، نقلاً عن الجاحظ، الحيوان، تح عبد السلام محمد هارون، منشورات مكتبة مصطفى البابي، مصر، ج3، ط1، 1938م، ص132.

(4) أحمد علي إبراهيم الفلاحي، الصورة في الشعر العربي، دراسة تنظيرية و تطبيقية في شعر صريع الغواني، مسلم بن الوليد، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1434هـ-2013م، ص14، نقلاً عن بشرى موسى صالح، الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، المركز الثقافي العربي، بيروت، دار البيضاء، ط1، 1994م، ص21.

الشيء بالشيء صورة وهيئة، ومنها تشبيهه به معنى، ومنها تشبيهه به حركة، وبطء وسرعة، ومنها تشبيهه به لونا، ومنها تشبيهه به صوتا، وربما امتزجت هذه المعاني بعضها ببعض، فإذا اتفق في الشيء المشبه بالشيء معنيان أو ثلاثة معان من هذه الأوصاف قوي التشبيه وتأكد الصدق فيه، وحسن الشعر به للشواهد الكثيرة المؤيدة له⁽¹⁾.

أما عبد القاهر الجرجاني فقد أعطى الصورة مدلولاً خاصاً حتى استقر مصطلحاً نقدياً قائماً بذاته في قوله: "إنما هو تمثيل وقياس لما نعلمه بعقولنا على الذي نراه بأبصارنا فما رأينا البيئونة بين آحاد الأجناس تكون من جهة الصورة، فكان بين إنسان من إنسان وفرس من فرس بخصوصية تكون في صورة هذا لا تكون في صورة ذاك.. ثم وجدنا بين المعنى في أحد البيئتين وبينه في الآخر بيئونة في عقولنا وفرقا عبرنا عن ذلك الفرق وتلك البيئونة بأن قلنا: المعنى في هذا صورة غير صورته في ذلك وليست العبارة عن ذلك بالصورة شيئاً نحن ابتدأناه فينكره منكر بل هو مستعمل مشهور في كلام العلماء ويكفيك قول الجاحظ: وإنما الشعر صناعة وضرب من التصوير"⁽²⁾.

فالمصور الفنية حسب الجرجاني غير مطابقة تماماً للواقع وإنما تتفرد بمميزاتها الخاصة سواء أكانت في المضمون أو الشكل.

فالملاحظ على آراء القدماء في إعطاء تعريف لمصطلح الصورة طغيان اللغويين على ذلك فجاءت معظم تعريفاتهم تمتاز بالتشبيهات والاستعارات، أي أنهم قد اهتموا بالتصوير الفني للمصطلح أي الجانب الحسي وأهملوا المضمون، لكن بعدما جاء المحدثون قاموا باعتماد مقاييس جديدة فقد "تجاهلوا كل مباحث البلاغة العربية ومقاييسها، واعتمدوا مقاييس وموازين جديدة تقوم على أسس نفسية غالباً"⁽³⁾.

(1) أحمد علي إبراهيم الفلاحي، الصورة في الشعر العربي، مرجع سابق، ص14، نقلاً عن ابن طباطبا العلوي، عيار الشعر، تح طه الجابري، ومحمد زغلول عبد السلام، شركة فن الطباعة، دط، 1956م، ص 17.

(2) عبد اللطيف عيسى، الصورة الفنية، في شعر ابن زيدون، مرجع سابق، ص23، نقلاً عن عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح محمد رشيد رضا، منشورات مكتبة محمد علي صبيح، القاهرة، ط6، دت، ص365.

(3) أحمد علي الفلاحي، الصورة في الشعر العربي، مرجع سابق، ص19، نقلاً عن عبد الفتاح صالح نافع، الصورة في شعر بشار بن برد، منشورات دار الفكر، عمان، 1980، ص77-78.

وقد تعددت مفاهيم الصورة لتعدد الدارسين والنقاد الغربيين والعرب وكذلك لاختلاف مذاهبهم.

ويرى "جابر عصفور" أن الصورة هي أداة مميزة للتعبير عن المعاني، فيقول: "هي وسيلة تعبيرية لا تنفصل طريقة استخدامها أو كيفية تشكيلها عن مقتضى الحال الخارجي الذي يحكم الشاعر ويوجه مسار قصيدته إما جانب النفع المباشر أو جانب المتعة الشكلية"⁽¹⁾.

فالصورة هنا وسيلة نفعية إذ إنها تخدم المعنى الذي يوجه ويحكم عمل الشاعر، وهي مهما حملت من مميزات خاصة بها إلا أنها " لن تغير من طبيعة المعنى في ذاته إنها لا تغير إلا من طريقة عرضه وكيفية تقديمه"⁽²⁾.

والملاحظ على جابر عصفور أنه قد اهتم بالمضمون وأهمل الشكل الخارجي الذي يحيل هو الآخر على المعنى.

أما الدكتور " داود سلوم" فيجمع المعنى والخيال في قوله: " امتزاج المعنى والألفاظ والخيال كلها هو الذي يسمى بالصورة الأدبية ومن ترابطها وتلاؤمها والنظر إليها مرة واحدة عند نقد النص يقوم التقدير الأدبي"⁽³⁾ فهو بذلك يؤكد على ضرورة النظر إلى الصورة الفنية نظرة شاملة.

ويرى " فان Van" أن الصورة: " كلام مشحون شحنا قويا، يتألف عادة من عناصر محسوسة، خطوط، ألوان، حركة، ظلال، تحمل في تضاعيفها فكرة وعاطفة، أي أنها توحى

(1) نصيرة بلحسيني، الصورة الفنية في القصة القرآنية، قصة سيدنا يوسف نموذجاً، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 1426هـ-1427هـ-2005م، نقلا عن جابر عصفور أحمد، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغة، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، 1974م، ص403.

(2) المرجع نفسه، ن ص، نقلا عن جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي، ص392.

(3) عبد الطيف عيسى، الصورة الفنية في شعراين زيديين، مرجع سابق، ص28، نقلا عن داود سلوم، النقد الأدبي، منشورات مطبعة الزهراء، بغداد، 1967م، ص81.

بأكثر من المعنى الظاهر وأكثر من انعكاس الواقع الخارجي، وتؤلف في مجموعها كلا منسجماً⁽¹⁾.

فقد اختلفت نظرة النقد الأدبي في تحديدها لمفهوم، لكن على الرغم من ذلك يمكننا إعطاء تصور عام للصورة وهي أنها تشكيل فني يعبر فيه الشاعر أو الأديب عن تجربته الإبداعية من خلال الأفكار والعواطف والخيال بأسلوب انفعالي مؤثر.

بعد عرضنا لمفهوم الصورة الأدبية اتضح لنا أنها نابعة من التجربة المعاشة للكاتب أو الشاعر، فيا ترى كيف صور لنا مولود فرعون فضاء الآخر بعد تجربته المريرة في فرنسا؟

ثانياً - صورة المرأة الفرنسية:

للشخص العربي عموماً نظرة محددة للمرأة وهي نابعة من ظروف تاريخية ودينية بالإضافة إلى عادات وتقاليد تحكم تصرفاتها، وعندما جاء الاحتلال الفرنسي جاءت معه المرأة الفرنسية والمختلفة أتم الاختلاف عن المرأة العربية المحتشمة فطريقة لباسها مختلفة وتتصرف بحرية زائدة، ولما هاجر العرب إلى فرنسا واحتكوا بالمرأة الفرنسية زاد اندهاشهم لتصرفاتها، وفيما يلي عرض لأهم شخصيات المرأة الفرنسية في رواية "الأرض والدم":

1- صورة الزوجة "ماري" زوجة عامر:

بعدما اختلط الرجل العربي عامة والمغربي خاصة بالمرأة الفرنسية بعد هجرته إلى فرنسا في الشارع والمتجر والمدرسة بدأ ذلك الحاجز السميك ينهار بينهما، حتى بدأ يفكر فيها وتفكر فيه، ويتمناها وتتمناه، وبعد ذلك بدأت خطوات التقارب في كل الأماكن التي كانا يلتقيان فيها، فنشأت بينهما أول الأمر علاقات حية، حيث أثارت هذه العلاقات المجتمعين المغربي والفرنسي على حد سواء، فنار المجتمع المغربي (الجزائري خاصة) على الابن الذي يتزوج أو يرتبط بفرنسية (نصرانية، أو مسيحية، كافرة، وآكلة للحم الخنزير)، كما نار

(1) أحمد علي الفلاحي، الصورة في الشعر العربي، مرجع سابق، ص22، نقلاً عن روز غريب، تمهيد في النقد الحديث، دار غندور للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1971م، ص192.

المجتمع الفرنسي بدوره على الفرنسية التي تتواضع -وهي ابنة الحضارة والتقدم والرقى- وتتعلق بمغربي (عربي، بهمجي قدر، بمسلم يبيح له دينه الزواج بأربع نساء)، لكن الزمان سار، وخفت حدة المشكلة وصارت الأسرة -المغربية عامة والجزائرية خاصة- التي تتكب بزواج ابنها من فرنسية تبكي وتحزن مدة قصيرة ثم تتلاءم مع الفرنسية أو يبتعدان عن بعضهما، كما أصبحت الأسرة الفرنسية تعارض البنت التي تتعلق بمغربي، فإذا تم الأمر ترسخ للأمر الواقع أو تفتت علاقتها بابنتها، وبذلك تهدم الحاجز بين المغربي والفرنسية، وصارت علاقة المهاجر المغربي المهاجر إلى فرنسا مع الفرنسية مسألة عادية، وقلما لا يرتبط مغربي مهاجر إلى فرنسا -عاملا كان أم طالبا- بفرنسية بعلاقة عاطفية قد تقضي إلى الزواج أو لا تقضي كما تعود المغاربة الشبان -وبخاصة المثقفون- ونتيجة لذلك جاءت الروايات المغربية الفرنسية اللغة تزخر بشخصية الفرنسية حبيبة أو زوجة⁽¹⁾.

وفيما يلي عرض لزوجة عامر الذي ربطته معها علاقة حب أدت إلى الزواج:

"ماري" "Marie" الفرنسية زوجة "عامر" العامل الجزائري بفرنسا حيث تزوجها عامر ثم اصطحبها معه إلى الجزائر إلى قرية ايغيل نزمان النائبة في منطقة القبائل الكبرى، وقد دخلت القرية البائسة وكأنها ملكة تدخل مدينة " **La belle dame leur souriait** " **comme une reine condescendante** " ⁽²⁾، " كانت السيدة الجميلة تبتسم لهم ابتسامة ملكة تتنازل لمن هو أدنى منها" ⁽³⁾، كما أنها قد قابلت حماتها بلقاء حار محتضنة إياها وقبلتها " **La dame embrasse follement Kamouma et la vieille lui** " **rend des baisers sonores, tels qu'elle aurait voulu les donner à son fils** " ⁽⁴⁾، " قبلت السيدة التي معه كمومة بابتهاج ظاهر، وردت عليها العجوز بقبلات مسموعة شبيهة بالتي منحتها لابنها" ⁽⁵⁾، وقد أعجبت ماري بالطبيعة الخلابة

(1) ينظر، عبد المجيد حنون، صورة الفرنسي في الرواية المغربية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، دت، ص 356-357.

(2) Mouloude FERAOUN, La Terre et le sang, p4 .

(3) مولود فرعون، الأرض والدم، ص 4.

(4) Mouloude FERAOUN, La Terre et le sang, p5

(5) مولود فرعون، الأرض والدم، ص 7.

المحيطة بالقرية فلبست ملابس خفيفة وخرجت لتستمتع بها رفقة زوجها " Madame a chaussé des bas clairs et des souliers à talons courts, Dans sa robe de crêpe jaune à fleurettes rouges elle a l'air d'une aimable fée qui vient embellir par sa présence ce paysage rustique, un paysage qui la mérite bien pourtant, Elle est svelte, presque de la taille d'amer, Ses cheveux blonds, soyeux et bien peignés retombent sur sa nuque pleine, Ses yeux bleus font songer au mouron et ses lèvres bien rouges au coquelicot, Son visage est plein de grâce et de hardiesse, Il est plutôt large gue rond, un front uni, un nez court mais bien planté, des sourcils fournis, régulièrement arqués, Avec le bas du visage, nettement dessiné et un peu fort elle donne l'impression d'être volontaire et

(1) " suffisamment armée pour la vie"

" ارتدت السيدة جوارب فاتحة، وحذاء بعقب منخفض وجبة من قماش الكريب الأصفر الذي تزينه أزهار حمراء فأضحت تبدو كالساحرة اللطيفة التي جاءت لتحلي بحضورها هذه المناظر الطبيعية الريفية، مناظر هي أهل لها قلبا وقالبا، لقد كانت رشيقة في قامة عامر تقريبا، ذات شعر أشقر حيري، مسرح بدقة على القفى الممتلىء ، عيناها الزرقوان زهر اللبين، وشفثاها الحمروان خشخاش منثور ، ووجهها يمتلىء سحرا وجرأة، وجه واسع أكثر منه مستديرا: جبهة مستوية، وأنف قصير جميل الانتصاب، وحواجب مستفيضة مقوسة بإحكام، أما ما تحت وجهها فمرسوم بوضوح، وقوي شيئا ما، إنها توحى بالاستعداد والتسلح التام لمواجهة الحياة"(2).

(1) Mouloude FERAOUN, La Terre et le sang, p 38.

(2) مولود فرعون، الأرض والدم، ص51.

D'un autre côté, tout le monde sait que les dames sont «collantes». Il n'est pas facile de s'en défaire. Ah! Cette signature, c'est la bête noire des femmes kabyles. Celui qui a signé est irrémédiablement perdu. Et Amer, chaque fois, trouve le moyen de ne pas répondre à la question précise: a-t-il signé, oui ou non (1).

" ومن جهة أخرى الكل يعلم بأن النساء "يلصقن" والصعوبة كل الصعوبة في التملص منهن، آه! من ذلك الإمضاء، إنه بعبع النساء القبائليات. إن من أمضى يكون قد ضاع إلى أبد الآبدين، وفي كل مرة كان عامر يجد وسيلة كي لا يجيب عن السؤال المضبوط: هل أمضى أم لم يمض؟" (2).

كما أنها قد أثارت إعجاب القبائليات بها ذلك أنها تختلف عنهم تمام الاختلاف فهي تختلف عنهم في كل شيء بجمالها ودقة ملامحها وتناسقها وصفاء بشرتها " Enduite Madame les écrase toutes de sa beauté: non, peut-être, par la régularité des traits ou l'harmonie des proportions mais par la pureté du teint, les couleurs florissantes du visage, la délicatesse des mains, la qualité de l'étoffe et la façon de la robe." (3).

" ثم إن مادام تسحقهن جميعا بجمالها: لا بتناسق ملامحها وانسجام تقاسيمها ولكن بصفاء سحتها، والألوان الزاهية لوجهها، ونعومة يديها، وكيفية مشطها وتفصيل جبتها" (4).

(1) Mouloude FERAOUN, La Terre et le sang, p 27.

(2) مولود فرعون، الأرض والدم، ص36.

(3) Mouloude FERAOUN, La Terre et le sang, p 28.

(4) مولود فرعون، الأرض والدم، ص38.

أعجبت ماري بحياتها الجديدة فقد تخلصت من حياة البؤس والشقاء التي كانت تعيشها في الغرفة رقم 4 في فرنسا، ولم تصطم بوضعها الحالي لأنها توقعت الأسوأ، وهي مرتاحة بايغيل نزمان فقد أحست نفسها سندريلا بينهم من حيث الجمال والثياب فحتى ملابسها الرثة بدت لها جميلة لاختلافها عنهم، فرضيت بعيشتها ولم تحلم بأكثر منها " **Madame est contente. En somme, elle n'est pas déçue. Elle s'attendait à moins. Il avait fallu partir à tout prix. Cette vie de chien de chien pauvre à Paris avait suffisamment duré. Que le cadre au moins changeât! Et voilà que ce n'est pas le cadre surtout qui a changé. Non, elle a toujours la même vaisselle, Quant à la bicoque de kamouma, elle ne vaut guère mieux que la chambre meublée n°4,Ce qui a changé, c'est toute une société: une humanité puissante et dédaigneuse qui ne l'aimait guère, ou elle ne compta jamais que comme un rebut, comme servante, parfois comme esclave. Une cendrillon pour tout dire qui découvre un royaume à la mesure de son bon sens de fille du peuple, le petit royaume d'Ighil-Nezman. D'un seul coup, elle trouve un monde ou on la hisse au premier rang, à la première place. Finies les humiliations! Son optique elle-même a subi l'illusion. Elle se voit très belle au milieu de ces paysannes, belle comme elle ne l'a jamais été. Ses robes de petite bonne lui paraissent somptueuses, son mobilier, son «home» vus sous un angle nouveau sont tous dignes d'être admirés. Cela lui**

donne une certaine assurance qui inspire le respect. Elle ne tire aucune vanité de sa nouvelle situation, mais elle est contente.

"Elle estime qu'elle a gagné au change." (1).

"بدأت السيدة سعيدة. الواقع أنه لم يخب أملها، كانت تنتظر أقل من هذا، كان يجب الذهاب بأي ثمن، حياة الكلاب تلك، حياة الكلاب الفقيرة بباريس قد طالبت كثيرا، ليتغير الإطار على الأقل! والآن ليس الإطار خاصة هو الذي تغير، لا مازالت تلاحقها نفس الصحون، أما كوخ كمومة فإن الغرفة المجهزة رقم 4 ليست أحسن حالا منه، إن ما تغير هو مجتمع كامل: إنسانية قوية مستخفة ومحترقة لا تكن لها أي حب. ولا وزن لهل فيها إلا بكونها نفاية، وخادمة، وأحيانا قنّة، إنها في مملكة ايغيل نزمان سندريلا كما يقال، فتاة من أبناء الشعب تكتشف مملكة على ذوقها. فجأة تجد عالما يرفعونها فيه إلى الصف الأول، إلى المقعد الأول، انتهى عهد الإذلال! نظرتها نفسها أصابها شيء من التوهم، ترى نفسها جميلة جدا وسط هؤلاء الفلاحات، جميلة كما لو لم تكن يوما، فساتين الخادمة الصغيرة بدأت لها فاخرة أثاثها "رجلها" رأته من زاوية آخر، عموما إنه جدير بالإعجاب. كل هذا أعطاهما شيئا من الثقة التي تنم عن الاحترام، إنها لا تفكر بخيلاء في حالتها الجديدة، ولكنها سعيدة، تعتقد بأنها قد ربحت في المبادلة" (2).

وقد اقتنعت ماري بوضعها الجديد وحاولت الخروج من عالم الكآبة والحزن الذي ينتابها كلما تذكرت وطنها، إلا أنها قررت المضي قدما وتعلمت الطبخ القبائلي وبعض أسرار الحفاظ على الزواج القبائلي " C'était à qui lui donnerait des conseils pour tenir son ménage à la kabyli, lui apprendre à préparer le couscous, la galette, allumer le bois dans le foyer, balayer la

(1) Mouloude FERAOUN, La Terre et le sang, p 39.

(2) مولود فرعون، الأرض والدم، ص52.

cour sans soulever trop de poussière, manier le moulin à bras"(1).

" وهن اللواتي نصحنها بكيفيات المحافظة على الزواج القبائلي، وعلمنها كيف تحضر الكسكسي، والرغيف، وكيف تشعل الحطب في الموقد، وكيف تكنس الفناء دون إثارة كثير من الغبار، وكيف تعالج المطحنة"(2)

2-صورة زوجة الفرنسي:

تختلف العلاقات الزوجية من مجتمع لآخر باختلاف العادات والتقاليد ومختلف مكونات المجتمع المادية والمعنوية، لذلك اهتم المغاربة بالعلاقات الزوجية السائدة بين المرأة الفرنسية وزوجها وبخاصة من حيث علاقات الإخلاص والخيانة، فقد أعطى المغربي أهمية كبرى لقضية الخيانة وقد ساعدته في ذلك الزوجة الفرنسية فتتبعها بتحررها وجرأتها، ولذلك فزوجة الفرنسي في الرواية المغربية الفرنسية اللغة غالبا ما ينظر إليها من ناحية الإخلاص والخيانة(3).

فلطالما ارتبطت صورة المرأة الغربية بالمرأة المنفلتة أخلاقيا إذ إنها " تصور مستهترة بالأخلاق، جارية وراء شهواتها الجنسية وملذاتها خائنة لا تعرف الإخلاص والوفاء"(4).

وقد مثلت " ايفون" زوجة رابح ذلك حيث إنها كانت تدير مع زوجها الفندق الذي كان يسكنه العمال القبائليون لكن عامرا قد سمع كلاما بين ذويه مفاده أنها تصاحب عمه رابح، بالإضافة إلى أنها تسمح للزبائن بسوء التصرف الخلقي معها " **Une forte blonde au**

rire sonore, mais qui savait se fâcher et faire plier l'échine à la

plupart de ses locataires avars ou indisciplinés. Par la suite,

Amer se rendit compte de beaucoup de choses, dans la maison.

(1) Mouloude FERAOUN, La Terre et le sang, p 83.

(2) مولود فرعون، الأرض والدم، ص115-116.

(3) عبد المجيد حنون، صورة الفرنسي في الرواية المغربية، مرجع سابق، ص336.

(4) غسان السيد، صورة الغرب في الأدب العربي، رواية فياض لخيري الذهبي نموذجا، مجلة جامعة دمشق، مج 24، ع 3-4، 2008م، ص99.

نقلا عن عبده عبود، الأدب المقارن، مدخل نظري ودراسات تطبيقية، منشورات جامعة البعث، 1993م، ص379

Les siens chuchotaient .C'était l'amie de Rabah. Et depuis longtemps. Seulement, Rabah était discret. Ils adoptaient tous deux une attitude irréprochable de réserve, alors qu'avec d'autres, yvonne permettait parfois la plaisanterie, un geste un **"(1) peu leste ou même une caresse**

" والسيدة ايفون امرأة مكتنزة شقراء، ذات ضحكة حادة، ولكنها كانت تعرف كيف تتنمر وتحني هامة أغلب المكترين البخلاء المتمردين، وقد اكتشف عامر أشياء كثيرة فيما بعد في الفندق، منها أن ذويه يهمسون بأن رابحا عشيقا لها، وذلك منذ أمد بعيد، وكل ما في الأمر أن رابحا كتوم، وتبنى سلوكا بعيدا عن الريبة والشكوك، في حين كانت تسمح للآخرين أحيانا بمزحة أو مداعبة أو حتى بلمسة خفيفة"(2).

3-صورة صاحبة المحل أو العمل:

بعد هجرة المغاربة إلى فرنسا تعاملوا مع الفرنسيات اللاتي يملكن محلات أو يدرنها كالفنادق والمطاعم والخمارات والأماكن الخاصة، فاحتكوا بها ، وهذه "ايفون yvonne" صاحبة فندق ومطعم بفرنسا ينزل عندها المغاربة وهي تتمتع بشخصية قوية " **Une forte blonde au rire sonore, mais qui savait se fâcher et faire plier l'échine à la plupart de ses locataires avarés ou indisciplinés** "(3) " والسيدة ايفون امرأة مكتنزة شقراء، ذات ضحكة حادة، ولكنها كانت تعرف كيف تتنمر وتحني هامة أغلب المكترين البخلاء المتمردين"(4).

وقد كانت صديقة رابح منذ مدة طويلة غير أن رابح كان يستتر على الأمر وكأن شيئا لم يكن، لكن عندما عرف زوجها أندي بالأمر قام بقتل رابح.

(1) Mouloude FERAOUN, La Terre et le sang, p 50..

(2) مولود فرعون، الأرض والدم، ص68.

(3) Mouloude FERAOUN, La Terre et le sang, p 50.

(4) مولود فرعون، الأرض والدم، ص68.

كما كانت تسمح للآخرين بشيء من العبث " **yvonne permettait parfois la**

"plaisanterie, un geste un peu leste ou même une caresse"(1)

"في حين كانت تسمح للآخرين أحيانا بمزحة أو مداعبة أو حتى بلمسة خفيفة"(2).

فهي تمتاز بشخصية مرحة قوية وتعرف متى تعبت مع زبائنها ومتى تغضب ومتى

تتجبر.

أما السيدة "غاريت" فهي أيضا صاحبة فندق بباريس وكانت ترتدي السواد إلا أنها تقوم

بإدارة الفندق وخدمة جميع الزبائن بمفردها " **La patronne était toute vêtue de**

noir, courte et potelée mais pétulante, empressée. Elle était

"seule à servir"(3).

" وكانت ربة العمل ترتدي ملابس سوداء قصيرة، امرأة مكنتزة ومتوقدة الذهن، ومتسرعة

تخدم الزبائن بمفردها"(4).

وقد نزل عامر بفندقها المتواضع واستقبلته بحفاوة بعدما تأكدت من حسن نواياه، كما أنها

قد أخبرته عن مكان ماري ابنة ايفون وعمه رابح.

فقد جسد الروائي صورة صاحبات المحل من خلال كلام الشخصية البطلة عامر عنهن،

وقد وصفهن بأنهن يملكن شخصية قوية والتي تساعدن في التعامل مع الزبائن خاصة

المتمردين منهم، فصاحبة العمل الفرنسية ذات طبع حاد وشخصية قوية فذة.

ثالثا-صورة الرجل الفرنسي:

بعد هجرة المغاربة إلى فرنسا طلبا للعمل أو العلم احتكوا بالرجال الفرنسيين في مختلف

الأماكن المدرسة، العمل، المقهى، لكن على الرغم من ذلك فإن الرجل في الرواية المغربية

الفرنسية اللغة لم يحظ بالاهتمام الكبير لدى الروائيين على عكس المرأة الفرنسية، وفي رواية

(1) Mouloude FERAOUN, La Terre et le sang, p 50

(2) مولود فرعون، الأرض والدم، ص68.

(3) Mouloude FERAOUN, La Terre et le sang, p61.

(4) مولود فرعون، الأرض والدم، ص85.

الأرض والدم تبرز صورة "أندي" زوج ايفون وصاحب النزل الذي يعيش فيه عامر مع بقية العمال الجزائريين، وقد كان أندري بولنديا ويتكلم الفرنسية أسوأ من رابح " **André, un Polonais, parlait le français aussi mal que Rabah-ou-**" **Hamouche**"(1).

" وأندي رجل بولندي يعمل مثلهم في المنجم، ويتكلم فرنسية أسوأ من فرنسية رابح أوحموش"(2)

ويضيف الروائي وصفا ماديا للشخصية أندري صاحب الفندق والذي كان يمتاز بالضخامة والطول بالإضافة إلى لون بشرته الأحمر مما يدل على خشونته في التعامل مع الناس " **Un bonhomme trapu mais solide, bien planté, large d'épaules, l'allure d'un bélier avec une toison rousse sur la tête, une face large et rubiconde, des moustaches tombantes et une grande bouche aux lèvres minces. Il se saoulait régulièrement les dimanches et se passionnait pour son travail le reste de la** **semaine**"(3).

" فقد كان رجلا بحتريا، وسانجا وضخما منتصب القامة، وعريض المنكبين كأنه كبش تعلق رأسه فروة حمراء، وله وجه أحمر عريض، وشوارب نازلة إلى الأسفل، وفاه واسع وشفتان رقيقتان، وكان يسكر سكرًا فضيحا أيام الآحاد، ويبذل قصارى جهده في العمل بقية أيام الأسبوع"(4).

(1) Mouloude FERAOUN, La Terre et le sang, p49.

(2) مولود فرعون، الأرض والدم، ص68.

(3) Mouloude FERAOUN, La Terre et le sang, p50.

(4) مولود فرعون الأرض والدم، ص68.

وبعد معرفة أندري بخيانة زوجته له مع رابح أراد الانتقام لشرفه فدبرّ مكيده لقتل رابح في المنجم وقد ساعده في ذلك عمل عامر مع عمه رابح، فقتله وأصقت التهمة في عامر فحمل على عاتقه جرماً لم يرتكبه.

رابعا-صورة الآخر المختلف:

إن الكلمات: الثقافة، والأخلاق، والدين تعبر عن منظومة من القيم والمبادئ الثقافية الراسخة في العقل والوجدان لأننا تجاه الصور النمطية عن الآخر، حيث إن هذه الصور تشير تحديداً إلى ارتباط الثقافة الغربية بالمنفعة وبما يترتب عن ذلك من غزو ثقافي بشعارات وهمية مفرغة براقه كالتحضر، وحقوق الإنسان، والعلمانية، والعولمة، والمثاقفة، والترجمة، والتواصل، والتنمية، والحرب على الإرهاب، بالإضافة إلى ارتباط الأخلاق بالحرية (انفلات الأخلاق)، والسماح بتعاطي المخدرات والخمرة، وتفشي الجريمة، والتتكرر للأسرة باسم استقلالية الفرد، وكذلك ارتباط دين الآخر بالكفر.

ويتشكل الآخر في البنية السردية العربية في شكل أنسقة ثقافية ودينية وأخلاقية متشابكة، ينتج عنها ذلك الصراع الحضاري بين ثقافتنا الأنا العربية والآخر الغربي، إذ إن الآخر الغربي يمارس غزواً ثقافياً من جهة وحرباً صليبية من جهة أخرى⁽¹⁾.

وقد انعكست ثقافة الآخر الغربي المختلف عنا على سلوكيات المهاجرين العرب الذين غادروا بلدانهم العربية قاصدين البلدان الغربية إما للدراسة أو العمل، مثلما هو الحال مع بطل الرواية عامر الذي جلب معه منذ مجيئه إلى قريته كل مظاهر الثقافة الغربية.

1-العادات:

نعيش في مجتمع مسلم يتميز بتاريخ عظيم وعريق وتحكمنا عادات وتقاليد أملتنا علينا حضارتنا الإسلامية وديننا الحنيف، دين الأخوة والترابط والتسامح وهذا ما جعلنا نختلف عن

(1) ينظر، حسين المناصرة، مقاربات في السرد، دار الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2012م، ص211-2012.

بقية الشعوب الأخرى، إذ إن ديننا هو من أعطانا تلك الميزة وجعلنا أمة متفردة أمة مسلمة ومتحابة ومتآزرة، وقد صور لنا الروائي في رواية الأرض والدم مجموعة من دلالات الاختلاف الكبير بيننا وبين الغربيين وخاصة فرنسا، فبعدما هاجر عامر إلى فرنسا وعاش فيها مدة طويلة لاحظ الفرق بين طريقة عيش الفرنسيين وطريقة عيش القبائليين في قريته الصغيرة ببلاد القبائل، فالقبائليون يعيشون في قرى صغيرة أو ما يعرف بالتكتلات الاجتماعية حتى أن بعضهم يعيش ضمن القرويات على خلاف المجتمع الفرنسي الذي يعيش فيه الأفراد على أنهم غرباء، فتتصف الحياة في القبائل بالترابط والاستقرار على خلاف الفرنسيين الذين يعيشون منفردين مستقلين في العيش " **Une série de cercles étroits emprisonnent les gens au sein des familles puis des karouba et font de tout le village une cage grouillante ou l'on se côtoie et se mesure sans cesse. En France, dans les gros villages ou les petites villes de l'importance d'Ighil-Nezman, dans les cités industrielles tout au moins, des familles peuvent venir s'installer, d'autres s'en aller définitivement. Des gens totalement étrangers peuvent se rencontrer, vivre cote à cote puis se séparer** " (1).

" سلسلة من الحلقات الضيقة تقيد الأفراد ضمن عائلات، ثم ضمن قرويات، مما يجعل القرية كلها قفصا يتململ فيه الأفراد: يتكتلون ويتفاخر بعضهم على بعض دون نهاية، أما بفرنسا، سواء في القرى الكبيرة، أو المدن الصغيرة التي في حجم إيغيل نزمان، أو في الأحياء الصناعية، فإن عائلات تأتي وتستقر، وأخرى تغادرها نهائيا، أناس غرباء عن بعضهم كلية يتقابلون ويتعايشون جنبا إلى جنب ثم يفترقون" (2).

(1) Mouloude FERAOUN, La Terre et le sang, p91.

(2) مولود فرعون، الأرض والدم، ص123.

فالحياة بفرنسا تعرف بالاستقلالية وبنوع من الأنانية على خلاف القرى القبائلية التي تعد القروية وحدة اجتماعية " **Il y a une certaine liberté d'allure et de propos, une certaine indépendance, un certain égoïsme qui font de la vie un combat loyal que chacun doit mener seul**"⁽¹⁾

"هناك نوع من سرعة الفعل ومن سرعة القول، نوع من الاستقلالية، وشيء من الأنانية تجعل من الحياة معركة عادلة، كل فرد فيها يقودها بمفرده"⁽²⁾

2- السلوكات:

تمتاز شخصية الآخر الغربي بالانفلات والخروج عن بعض نوااميس الحياة، وبنعكس ذلك في كثير من التصرفات كشرب الخمر والتنكر للأسرة تحر راية الحرية وتعاطي المخدرات.

فشرب الخمرة مثلا يعد من الأمور المباحة في البلاد الغربية، ولكنها بالنسبة للأنا العربية فهي محرمة بنص القرآن والسنة، ولما هاجر عامر إلى فرنسا لاحظ كيف يشرب الفرنسيون الخمرة ومنهم أندري صاحب النزل الذي يقيمون فيه، إذ إن هذا الأخير يعمل طوال أيام الأسبوع ويشرب الخمرة يوم الأحد حتى يثمل **Il se saoulait régulièrement les dimanches et se passionnait pour son travail le reste de la semaine**"⁽³⁾.

" وكان يسكر سكرًا فضيعًا أيام الآحاد، ويبذل قصارى جهده في العمل بقية أيام الأسبوع"⁽⁴⁾.

وقد تفتت ظاهرة شرب الخمرة في أوساط القبائليين المقيمين بفرنسا في محاولة منه الاندماج في المجتمع الغربي فأعجبوا بسلوكات الفرنسيين وحاولوا تقليدها، فهذا عامر قد

(1) Mouloude FERAOUN, La Terre et le sang, p91-21.

(2) مولود فرعون، الأرض والدم، ص123.

(3) Mouloude FERAOUN, La Terre et le sang, p50.

(4) مولود فرعون الأرض والدم، ص68.

Quand Amer se mit à fréquenter son oncle, il constata que ce dernier était très entreprenant et qu'il passait son temps libre à rechercher des femmes, Il quittait la ville à bicyclette, allait dans les environs, Il prenait le train, s'absentait quelquefois, poussait jusqu'à Lille, y laissait ses économies, Ce fut Rabah qui initia Amer à l'amour tandis que le Polonais lui apprit à boire pour, en fin de compte, lui faire trouver la vie belle au point d'oublier Kaci et kamouma, Actuellement, il se garde de leur en vouloir, On ne peut pas être un saint"⁽¹⁾.

" حينما أخذ عامر يصادق عمه لاحظ بأن هذا الأخير جريء جدا، وأنه يقضي جل وقته الضائع في تعقب النساء، فكان يغادر المدينة على الدراجة إلى المناطق المجاورة، ويتغيب أحيانا، ويسافر في القطار إلى مدينة ليل يصرف جميع مدخراته، ورابع هو أول من مزّن عامرا على العلاقات الجنسية، في حين دربه البولندي على استهلاك الخمر"⁽²⁾.

فقد مثل رابع القدوة السيئة لعامر في تتبعه لسلوكه السيء مما انعكس على تصرفاته. وقد كانت ماري مختلفة عن بقية القبائليات، ذلك أنها كانت تمتاز بالتصرفات المتحررة كمحادثة الرجال والذهاب إلى المقهى وبذلك تكون قد انفلتت من الحياء المعهود لدى القبائليات " Ce serait de la voir parler aux hommes, sortir, se dévergonder, provoquer les kabyles, manquer de pudeur comme elles font toutes en France"⁽³⁾.

(1) Mouloude FERAOUN, La Terre et le sang, p 115.

(2) مولود فرعون، الأرض والدم، ص69.

(3) Mouloude FERAOUN, La Terre et le sang, p29.

" إنها تحادث الرجال وتخرج بمفردها مستهترة بكل القيم، ومثيرة للقبائل، ومقلّة للحياء كما يصنعن في فرنسا"(1).

وتختلف طريقة عيشها كذلك عن طريقة عيش القبائل " On sait à l'avance ce que c'est qu'une Française. Elle a un train de vie tout spécial qui la classe à part autant que son visage et son costume. Tout le monde d'ailleurs a vu passer le lit, la table, une grosse malle. (2)"

"تعلم مسبقا معنى فرنسية فلها نسق حياتي خاص بها تماما نسق يصنفها في مرتبة أخرى، فضلا عن وجهها وملابسها، الكل قد رأى مرور السرير والطاولة، وصندوق الملابس الكبير"(3).

وقد حاول المهاجرون تقليد ثقافة الغرب في طريقة عيشهم ولباسهم حتى غدا العائدون من بلاد الغربية يتشبهون بالغربيين في طريقة لباسهم، ومن بينهم عامر الذي كان مظهره يشبه الغربيين lui aussi portait beau, quoique son teint ne fut pas très clair, il n'avait ni moustaches (4).

"إنه وسيم أيضا، لكن سحنته أقل بياضا منها، شاب حاسر الرأس، بدون شوارب"(5).

3-الذهنية:

لقد أثر الآخر الغربي كثيرا على ذهنية المهاجرين العرب، ذلك أن المهاجرين قد أعجبوا بثقافة الغربي المتحررة من كل القيود الحضارية، والدينية والثقافية، لذلك انعكس هذا التأثير على تصرفاتهم وأفكارهم، فمثلا عامر قد أراد نقل بعض أفكار الغربيين في التعامل في الاجتماعات إلى أهل قريته فاقترح تنظيم عليهم تنظيم اجتماعاتهم على الطريقة الغربية،

(1) مولود فرعون، الأرض والدم، ص38.

(2) Mouloude FERAOUN, La Terre et le sang, p29

(3) مولود فرعون، الأرض والدم، ص39.

(4) Mouloude FERAOUN, La Terre et le sang, P 04.

(5) مولود فرعون، الأرض والدم، ص4.

Il était devenu un habitué des " إنقاص الفوضى منها والتقليل من المشاجرات " réunions du village. Ces réunions absolument anarchiques avaient lieu tous les quinze jours, un vendredi. Elles se tenaient dans l'unique salle de la mosquée, sur les lourdes nattes d'alfa qui recouvraient le sol battu. La première réunion l'édifia par son désordre. Tout le monde criait et parlait à la fois. Ce fut une "cacophonie endiablée, terminée comme une crise nerveuse."⁽¹⁾

" وأصبح من المعتادين على اجتماعات القرية، تلك الاجتماعات التي تعقد يوم الجمعة من كل خمسة عشر يوما، والمتسمة بالفوضى المطلقة، وتجري هذه الاجتماعات باستمرار في القاعة الوحيدة للمسجد على حصائر الحلفى الثقيلة التي تغطي الأرض المدكوكة. الاجتماع الأول منها أكد له تماما الطابع الفوضوي لها، الجميع يصيح ويتكلم في الآن نفسه. أصوات متنافرة لا تطاق، وقد انتهى كأزمة عصبية"⁽²⁾.

وبعد تفكير عميق نهض عامر وحاول تنظيم الاجتماع على الطريقة الفرنسية، فأخبر الجميع بكيفية تنظيم العمال لاجتماعاتهم بفرنسا " Amer sut profiter d'un bon moment. Il se leva posément et sans se presser, sans prendre parti, se mit à expliquer comment les ouvriers français organisent une réunion. Il ne criait pas, ne se hâtait pas, expliquait avec conviction ce qu'il avait trouvé de bon dans ces assemblées et comme il ne prenait aucun parti, on l'écouta. C'était clair, ce qu'il disait. Et chacun, au fur et à mesure qu'il parlait, pouvait reconstituer en son imagination telle assemblée

(1) Mouloude FERAOUN, La Terre et le sang, p147.

(2) مولود فرعون، الأرض والدم، ص204-205.

de sages bonshommes vêtus de noir, assis devant un orateur correct, écoutant attentivement, la main sur la joue et le coude sur le genou. Oui, c'était cela les vraies réunions: un ordre du jour, un président de séance, les orateurs qui se font inscrire à l'avance et qui défilent l'un après l'autre devant un auditoire courtois. Vote silencieux et honnête, levée de séance très digne. Travail fructueux et agréable. Bien entendu, in ne saurait exiger tout cela des ignares d'Ighil-Nezman, mais on pouvait utilement retenir certains points essentiels du procédé.⁽¹⁾

" عرف عامر كيف يستغل هنيهة زمنية، فقام واثق النفس متندا، ودون انحياز إلى أي جهة، أخذ يشرح لهم كيف ينظم العمال الفرنسيون جمعياتهم العمومية، فلم يرفع صوتا، ولم يتعجل، وشرح لهم باقتناع ما وجدته حسنا في تلك الجمعيات، وباعتبار أنه لم يكن منحازا إلى أي حزب، فقد أصغوا إليه جميعا، واضح جدا ما كان يقوله، وكل واحد منهم أثناء حديثه يستطيع شيئا فشيئا أن يساهم بحسب خياله في تشكيل جمعيات أولئك الرجال الطيبين، المتدثرين بالملابس السوداء، والجالسين أمام خطيب متأدب، يستمعون إليه باهتمام، أياديهم على خدودهم، ومرافقهم على ركبهم، نعم، هذه هي الاجتماعات الحقيقية: جدول أعمال، ورئيس للجلسة، ومتحدثون مسجلون مسبقا، يتناوبون الواحد تلو الآخر أمام مستمعين كئسين، ثم انتخاب نزيه بصمت، ورفع الجلسة بكرامة، عمل مثمر وممتع وبطبيعة الحال لا يمكن فرض كل هذا على جهلة ايغيل نزمان، ولكن يمكن التمسك ببعض النقاط الأساسية لهذا الإجراء"⁽²⁾.

(1) Mouloude FERAOUN, La Terre et le sang, P148.

(2) مولود فرعون، الأرض والدم، ص206-207.

مما سبق يتضح لنا أن صورة الآخر (الغرب) المختلف عنا دينيا وثقافيا واجتماعيا قد ظهرت في رواية الأرض والدم من خلال سلوكيات وأفعال شخصيات الرواية ولم تقتصر هذه الصورة على الغرب وحدهم، بل قد جسدتها كذلك شخصيات الرواية من المهاجرين، الذين أعجبوا بثقافة الغرب بمجرد هجرتهم إليه.

فالملاحظ هنا أن الهيمنة الاستعمارية لا تزال قائمة على الرغم من خروج الاستعمار من البلدان العربية، إلا أنه مازال ينتهج سياسة إبهار العرب بحضارته وتطوره مما يجعل الشعوب العربية تسقط تحت إمرته.

خاتمة

خاتمة:

من خلال هذا البحث وبعد عرضنا المستفيض لكل ما سبق يمكن الوصول إلى الملاحظات والأحكام والنتائج التالية:

- يعد الاغتراب ظاهرة قديمة بدأت مع تاريخ البشرية منذ هبوط آدم عليه السلام وزوجه إلى الأرض.

- وقد كانت له ثلاثة استعمالات قبل هيجل، بمعنى نقل الملكية، والاضطراب العقلي، ومعنى الغربة بين البشر.

- الاغتراب من أكثر المصطلحات إغراء في الاستخدامات المختلفة كعلم النفس والأدب والفن والعلوم الاجتماعية.

- يشعر الفرد بأنه مغترب حينما يحس بالضياع وعدم فاعليته، ويحس كذلك بعدم الانتماء والانسلاخ عن مجتمعه، فهو انفصال جزئي عن الذات وعن المجتمع.

- يعد هيجل أبا الاغتراب إذ إن هذا الأخير قد تأصل على يده من خلال كتابه ظاهريات العقل الكلي، ثم جاء بعده كل من ماركس وسارتر.

- الغيرية هي تلك العلاقة التي تربط الأنا بالآخر والذي يعد من أبرز مجالات الأدب المقارن، وهذه اللفظة مشتقة من الغير أي خلاف الذات.

- إن علاقة العرب بالآخر الغربي علاقة قديمة ترجع إلى ما قبل الإسلام حيث اتصل العرب بالفرس والروم عن طريق الجوار وتوطدت هذه الصلات عن طريق التجارة.

- لقد كان احتكاك العرب بالآخر منذ القديم ولعل ما ساعد على ذلك حملة نابليون وما تبعها من حروب وهجمات على العرب.

-لم يستطع العرب التأقلم مع الغرب في بادئ الأمر لكن بفضل الأسفار والبعثات العلمية استطاعوا أن يفتحوا عليه جزئياً.

- انقسم العرب في رأيهم للآخر إلى ثلاثة مواقف فقد تمثل الأول في موقف الرفض المطلق للآخر ودعا إلى ضرورة الانغلاق، بينما دعا الموقف الثاني إلى ضرورة الانفتاح على الآخر انفتاحاً كلياً مع طمس كل مقومات الأمة العربية، فيما دعا الموقف الثالث إلى الحياد.

-لقد اتسمت مسألة "الآخريّة" وأسئلة الهوية والاختلاف في الفكر العربي الحديث بطابع التوتر الذي يتجلى أحياناً في التمزق بين ماضي الذات وحاضر الآخر، وهو التمزق الذي يعكس وضعية سيكولوجية حيث الذات تشعر بتمزقها بين الحاضر الذي يبرز فيه الآخر الغربي بصورته المزدوجة كمتحضر ومستعمر ، وبين الماضي الذي يقبع هناك في زمن مضى وانقضى.

-يتجلى الاغتراب بأنواعه في رواية الأرض والدم من خلال الشخصيات المختلفة والمتعددة التي كان لها الدور الفعال في تصعيد أحداث الرواية، فالشخصية هي المحرك الديناميكي للعمل الروائي.

-تنقسم الشخصيات في الرواية إلى شخصية رئيسية وأخرى ثانوية، ويتضافرهما معاً تساهمان في تصعيد أحداث الرواية.

-لقد قام الروائي مولود فرعون بتقديم وصف مادي ومعنوي دقيق لشخصيات روايته حتى يبين مدى تأثيرها وتأثرها في الرواية.

-يطلق على الشخصية الرئيسية أو المحورية في الرواية الشخصية المهيمنة نظراً لإعطاء الروائي لها الدور الأهم والبارز في الأحداث الروائية.

-بعد معايشة الشخصية الروائية للظروف النفسية والاجتماعية والثقافية قد تحس بعدم فاعليتها ما يجعلها تغترب عن واقعها.

-أحست الشخصيات في رواية الأرض والدم بشتى أنواع الاغتراب من اجتماعي وثقافي واقتصادي وذلك راجع لقسوة الظروف التي عاشتها كالفقر والحرمان والابتعاد عن الأهل والوطن.

-يعد الفضاء هو الآخر أحد مكونات العمل الروائي، وقد اهتم به عديد الدارسين لأهميته البالغة في تجسيد الدلالات الجمالية للعمل الفني.

-فضاء الغيرية هو الفضاء الذي يتناول صورة الآخر (الغرب) المختلف عن الأنا العربية بكل ما تطبعه تلك الصورة من حضارة ودين وثقافة.

-تنوع الفضاء في رواية الأرض والدم بين المفتوح والمغلق حتى ينقل لنا الروائي من خلاله أهم الدلالات الجمالية ويقارن بين الفضاء العربي والغربي.

-قام الروائي بتقديم صورة المرأة الفرنسية بكل تفاصيلها نظرا لأهميتها البالغة في نقل صورة الآخر المختلف، خاصة فيما يتعلق بالعادات والتقاليد حيث إنها تمثل دائما صورة المرأة المنفلتة أخلاقيا، وهي النقطة الأبرز في اختلاف الثقافتين العربية الإسلامية والغربية.

-انعكست صورة الآخر الغربي المختلف عن الذات العربية دينيا وثقافيا واجتماعيا من خلال سلوكيات وأفعال شخصيات الرواية.

-إن الهيمنة الاستعمارية على الرغم من خروجها من البلدان العربية إلا أن جذورها باقية ومتأصلة، عن طريق الغزو الثقافي.

قائمة المصادر

والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

المصادر:

FERAOUN Mouloud, La Terre et le Sang, Editions Talantikit, -1

Bejaïa, 2002.

2- فرعون مولود، الأرض والدم، تر عبد الرزاق عبيد، دار فلانتيكيت للنشر، بجاية، د.ت.

المراجع:

أولا-الكتب:

3- العافية محمد، الخطاب الروائي عند اميل حبيبي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار

البيضاء، ط1، 1997م.

4- الفلاحي أحمد علي إبراهيم، الصورة في الشعر العربي، دراسة تنظيرية وتطبيقية في شعر

صريع الغواني، مسلم بن الوليد، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1434هـ-

2013م.

5- الفلاحي أحمد علي، الاغتراب في الشعر العربي في القرن السابع الهجري، دراسة

اجتماعية نفسية، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1434هـ - 2013م.

6- النابلسي شاكر، جماليات المكان في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر

والتوزيع، بيروت، ط1، 1994م.

7- بوعزة محمد، تحليل النص السردي، تقنيات ومفاهيم، منشورات الاختلاف، الجزائر، الدار

العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 1431هـ - 2010م.

8- حمود ماجدة، صورة الآخر في التراث العربي، منشورات الاختلاف، الجزائر، الدار

العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 1431هـ - 2010م.

- 9- حنون عبد المجيد، صورة الفرنسي في الرواية المغربية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، د ت.
- 10- خليفة محمد عبد اللطيف، دراسات في سيكولوجية الاغتراب، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، د ط، 2003م.
- 11- زامل بهجات محمد عبد السميع، الاغتراب لدى المكفوفين، ظاهرة علاج، دار الوفاء للطباعة والنشر، الاسكندرية، ط1، 2007م.
- 12- زعرب فتحية عودة، غسان كنفاني، جماليات السرد في الخطاب الروائي، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1426هـ-2006م.
- 13- زيادة غسان، قراءة في الأدب والرواية، إنه نداء الجنوب، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1995م.
- 14- شتا السيد علي، نظرية الاغتراب من منظور الاجتماع، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، د ط، 1993م.
- 15- عبد المختار محمد خضر، الاغتراب والتطرف نحو العنف، دراسة نفسية اجتماعية، دار غريب للطباعة والنشر، د ط، د ت.
- 16- علوش سعيد، مدارس الأدب المقارن، دراسة منهجية، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1987م.
- 17- عيسى عبد اللطيف يوسف، الصورة الفنية في شعر ابن زيدون، دراسة نقدية، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1431هـ-2011م.
- 18- فاتح عبد السلام، تريف السرد، خطاب الشخصية الريفية في الأدب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2001م.
- 19- فوغالي باديس، الزمان والمكان في الشعر الجاهلي، عالم الكتب الحديث للنشر و التوزيع، عمان، ط1، 1429هـ 2008م.

- 20- قاسم سيزا أحمد، بناء الرواية، دراسة مقارنة، في ثلاثية نجيب محفوظ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، بيروت، ط1، 1984م.
- 21- كامل فؤاد، الغير في فلسفة سارتر، دار المعارف، القاهرة، د ط، د ت.
- 22- كحلوش فتحية، بلاغة المكان، قراءة في مكانية النص الشعري، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ط1، 2008م.
- 23- كاظم عبد الله نجم، نحن والآخر في الرواية العربية المعاصرة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2013م.
- 24- لحميداني حميد، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر، الدار البيضاء، بيروت، ط3، 2000م.
- 25- ماجدولين شرف الدين، الفتنة والآخر، أنساق الغيرية في السرد العربي، دار الأمان، الرباط، ط1، 1433هـ، 2012م.
- 26- محمد محفوظ، الإسلام، الغير، وحوار المستقبل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 1998م.
- 27- مرتاض عبد الملك، في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة، الكويت، ديسمبر 1989م.
- 28- منور أحمد، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي، نشأته وتطوره وقضاياها، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007م.
- 29- هلال عبد الناصر، آليات السرد في الشعر العربي المعاصر، مركز الحضارة العربية للنشر، القاهرة، ط1، 2006م.
- 30- يوسف محمد عباس، الاغتراب والإبداع الفني، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د ط، 2004م.

ثانياً- الكتب المترجمة:

31- باشلار غاستون، جماليات المكان، تر غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 1404هـ-1984م.

32- ريكور بول، الذات عينها كآخر، تر جورج زيدان، منشورات المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2005م.

ثالثا- المعاجم والموسوعات والقواميس:

33- ابن فارس أبو الحسن بن زكريا، مقاييس اللغة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1422هـ-2001م.

34- ابن منظور الإفريقي أبو الفضل جمال الدين بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، د ط، د ت، مج 7.

35- ابن منظور الإفريقي أبو الفضل جمال الدين بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، د ط، د ت، مج 15.

36- التونجي محمد، المعجم المفصل في الأدب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1993م.

37- التونجي محمد، المعجم المفصل في الأدب، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1، ط2، 1419هـ-1999م.

38- الحنفي عبد المنعم، موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط4، 1994م.

39- الرازي محمد بن بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، دار الكتاب العربي، بيروت، د ط، د ت.

40- الفيومي أحمد بن محمد بن علي، المصباح المنير، دار الحديث، القاهرة، د ط، 1429هـ-2008م.

- 41- المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، د ط، 1403هـ-1983م.
- 42- المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط4، 1425هـ-2004م.
- 43- بدوي محمد، المعجم الانجليزي-العربي، مر محمد دبس، أكاديمية بيروت، ط3، 2010م.
- 44- بوزواوي محمد، معجم المصطلحات الفلسفية، الدار الوطنية للكتاب، الجزائر، د ط، د ت.
- 45- صليبا جميل، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ج1، د ط، 1982م.
- 46- صليبا جميل، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ج2، د ط، 1982م.
- 47- غيث محمد عاطف، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، د ط، 2006م.
- 48- نصار نواف، معجم المصطلحات الأدبية، عربي-انجليزي، دار المعتز، عمان، ط1، 1431هـ-2010م.

رابعا-المذكرات:

- 49- نصيرة بلحسيني، الصورة الفنية في القصة القرآنية، قصة سيدنا يوسف عليه السلام، نموذجا، دراسة جمالية، مذكرة ماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 1426-1427هـ، 2005-2006م.
- 50- بولحمر فضيلة، هندسة الفضاء في رواية الأمير لواسيني الأعرج، مذكرة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، 2009-2010م.
- 51- جودي محمد، شعرية الشخصية والمكان الروائي، في عائد إلى حيفا لغسان كنفاني، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر 2، 2011-2012م.

- 52- جوادى هنية، صورة المكان ودلالاته في روايات واسيني الأعرج، رسالة دكتوراه، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2012-2013م.
- 53- ديب وئام رشيد عبد الحميد، تقانات السرد في الخطاب الروائي العربي في فلسطين من 1994-2006م، مذكرة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، 1431هـ-2010م.
- 54- رحيم عبد القادر، بنية النص السردي في روايات إبراهيم سعدي، أطروحة دكتوراه، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 1436هـ-1437هـ، 2015-2016م.
- 55- عدوان سعد عودة حسن، الشخصية في أعمال أحمد رفيق عوض الروائية، دراسة في ضوء المناهج النقدية، مذكرة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، 1435هـ-2014م.
- 56- مشعالة محمد، الاغتراب عند الإمام علي، أطروحة دكتوراه، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2009-2010م.

خامسا-المجلات:

- 57- السيد غسان، صورة الغرب في الأدب العربي، رواية فياض لخيري الذهبي نموذجا، مجلة جامعة دمشق، المجلد 24، ع3-4، 2008م.
- 58- النوري قيس، الاغتراب اصطلاحا ومفهوما وواقعا، مجلة عالم الفكر، الكويت، مج 10، ع1، أبريل-مايو-يونيو، 1979م.
- 59- بن صالح نوال، الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية وثورة التحرير، صراع اللغة والهوية، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر، بسكرة، ع7، 2011م.
- 60- جديدي زليخة، الاغتراب، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع8، جوان 2012م.
- 61- فريحات مريم جبر، الحس الاغترابي في أعمال روائية لغسان كنفاني، مجلة جامعة دمشق، مج 26، ع3-4، 2010م.

62- فتاح عي عبد الرحمن، تقنيات بناء الشخصية في رواية ثرثرة فوق النيل، مجلة كلية الآداب، العراق، ع 102، د ت.

سادسا-المواقع الالكترونية:

63- الحوار المتمدن، يومية سياسية، متاحة على الموقع: <http://www.ahewar.org>.

64- بوحالة طارق، النقد الثقافي وأنساق الغيرية، عود الند، مجلة ثقافية شهرية، ع96، متاحة على الموقع: <http://www.oudnad.net/spip.php>.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

مقدمة.....	أ-ج
مدخل: الاغتراب والغيرية مصطلحات ومفاهيم ورؤى.....	7-38
I- الاغتراب.....	7-24
تمهيد.....	7
أولا- تعريف الاغتراب:.....	7
1- في اللغة العربية.....	7
2- في اللغات الأجنبية.....	8
3- في الموسوعات والقواميس.....	10
ثانيا: الاغتراب اصطلاحا.....	11
ثالثا: الاغتراب عند الغربيين.....	14
رابعا: الاغتراب في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية.....	22
II- الغيرية.....	24-38
تمهيد.....	24
أولا: تعريف الغيرية.....	24
1- في اللغة العربية.....	24
2- في اللغات الأجنبية.....	24
3- في الموسوعات والقواميس.....	25
ثانيا: اصطلاحا.....	26
ثالثا: الغيرية عند الغربيين: المفكرين والفلاسفة.....	28
رابعا: الغيرية عند العرب.....	34
الفصل الأول: الشخصية الروائية والاعتراب.....	40-90

40.....	تمهيد
40.....	I-تعريف الشخصية
40.....	1-في اللغة العربية
42.....	2-اصطلاحا
47.....	II-أنواع الشخصية
47.....	أولا-الشخصية الرئيسية
49.....	1-عامر
50.....	2-سليمان
52.....	3-ماري
53.....	4-شابحة
54.....	ثانيا: الشخصية الثانوية
55.....	1-رابع
56.....	2-كمومة
57.....	3-سمينة
59.....	III-اغتراب الشخصية الروائية
59.....	أولا-اغتراب الاجتماعي
60.....	1-الفقر
62.....	2-استحالة الاندماج
64.....	3-البعد عن الأهل والأقارب
74.....	4-العنصرية
76.....	5-الأمية والجهل
80.....	ثانيا: اغتراب لغوي وثقافي

83.....	ثالثا: اغتراب اقتصادي.....
84.....	1-ظروف العمل.....
87.....	2-ظروف المعيشة.....
139-92.....	الفصل الثاني: تجليات فضاء الغيرية في رواية الأرض والدم.....
92.....	تمهيد.....
94.....	I-تعريف الفضاء وفضاء الغيرية.....
94.....	1-في اللغة العربية.....
94.....	2-اصطلاحا.....
98.....	3-تعريف فضاء الغيرية.....
99.....	II-أنواع الفضاء.....
99.....	1-الفضاء كمعادل للمكان.....
100.....	2-الفضاء الدلالي.....
101.....	3-الفضاء النصي.....
102.....	4الفضاء كمنظور أو كروية.....
103.....	III-تصنيف الفضاء الجغرافي.....
103.....	أولا: الفضاء المفتوح.....
114.....	1-الشارع.....
107.....	2-البنائيات.....
108.....	3-الحقول الباريسية.....
109.....	4-السجن.....
111.....	ثانيا: الفضاء المغلق.....
111.....	1-الغرفة.....

111.....	2-المنجم.....
115.....	3-المقهى.....
117.....	III-صورة الآخر باعتباره فضاء ثقافيا واجتماعيا.....
117.....	أولاً: تعريف الصورة الأدبية.....
117.....	1-في اللغة العربية.....
118.....	2-اصطلاحا.....
122.....	ثانياً: صورة المرأة الفرنسية.....
122.....	1-صورة الزوجة ماري زوجة عامر.....
128.....	2-صورة الزوجة الفرنسية.....
129.....	3-صورة صاحبة محل أو العمل.....
130.....	ثالثاً: صورة الرجل الفرنسي.....
132.....	رابعاً:صورة الآخر المختلف.....
132.....	1-العادات.....
134.....	2-السلوكات.....
136.....	3-الذهنية.....
143-141.....	خاتمة.....
151-145.....	قائمة المصادر والمراجع.....
156-153.....	فهرس الموضوعات.....